19me, année No 935 — LeCaire 4 — 6 — 1951

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٣٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ شعبان سنة ١٣٧٠ — ٤ يونية سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

شكر ...

إلى صاحب الجلالة الفاروق أعز الله نصره، وجمّل بالآداب والعلوم عصره، أرفع أخلص الولاء وأصدق الدعاء وأجزل الشكر، على تعطفه بالإنعام السامى الكريم على جندى من جنود الأدب، لا يتعزز بحزب، ولا يتقوى بمنصب، ولا يتعالى بثراء؛ وإنما هو العمل المتواضع الخالص لوجه الله والوطن، لا يبتغى من ورائه عرضاً من أعراض الدنيا، ولا غرضاً من أغراض الجاه. والعمل الذى لا يُرجى ولا يخشى لا يباليه رجل السياسة لأنه لا يساعد على الظفر بالحكم، ولا يحفله صاحب الحكم لأنه لا يعين على البقاء فيه. إنما يذكره مالك الملك لأنه رب الجميع فيثيب عليه يوم لا أمر إلا أمره؛ ويقدُره صاحب العرش لأنه ملك الجميع فيكافىء عليه حين لا قدْر إلا قدره. والله يحكم على العمل بالنية لأن السرائر لا تخفى على علمه؛ والملك يحكم عليه بالإخلاص لأن الشوائب لا تعلق بحكمه.

وإذا كان واجب الولاء يقتضينى أن أسجل بالثناء عطف حلالة المليك على رجال الأدب، فإن واجب الإنصاف يضطرنى أن أبرىء الحكومة القائمة من تهمة الخروج على العصبية الحزبية؛ فربما سبق إلى بعض الظنون أنها التمست هذا الإنعام الملكى على عضو من أعضاء مجمع فؤاد الأول، لأن الوفد مدين للأدب فى دعوته وثورته وقوته وروحيته، منذ استولى سعد زغلول على العقول والميول ببلاغة بياناته وبراعة خطبه، إلى أن أخرج مكرم عبيد، وتوفى صبرى أبو علم ولكن الحق الذى يحلو حينا ويمر أحيانا، أنها أسقطت هذا الشاكر فيمن أسقطت من رجال القلم، لأنها لا تزال تعتقد أن من لم يكن لها فهو عليها، وأن من لم يكن وفديا فليس مصريا والمنطق الطبيعى لا ينفى أن يكون فى المصريين قوم يخدمون السياسة العليا، أو يؤيدون القضية الكبرى، دون أن يتجهوا جهة معينة، ويتبعوا خطة مبينة؟ فيهتفون بالرجل من أى حزب إذا أحسن، وينوهون بالعمل من أى عامل إذا صلح ولكن من يدرى؟ ربما حذف ما حُذف من الأسماء، قبل أن يُعرض الأمر على الوزراء. ومن قبل ذلك قلت: إرادة الصغير إدارة الكبير!

أما بعد فإن الألقاب زوائد فى الأعلام لا تكمل الرجل الناقص، ولا تصحح العمل الخطأ. وآفتها أنها قد تميز بالقانون مالم يتميز بالطبيعة، وأنها تجمل من الفروق بين الناس فى الدنيا، مالم يجعله الله بينهم فى الدين. والديمقراطية التى تسوغ شعارها من المؤاخاة والمساواة؛ والديكتاتورية التى تتخذ رمزها من المواطنة والمرافقة، تنظران بعين العجب إلى أمة ناهضة لا تزال تقدس ألقاب التمييز، وهى مسلمة يمحو دينها ما بين الأفراد والجماعات من الفروق، ديمقراطية يسوى دستورها بين المواطنين فى الواجبات والحقوق

احمد حسن الزيات

على هامش السياسة الدولية

للأستاذ عمر حليق

وراء التوتر المخيف الذي يسود العلاقات الدولية هذه الأيام بعض العوامل الجوهرية التي قل أن يفطن لها المتتبع للشؤون الدولية عن طريق الصحف السيارة وغيرها من الواصلات الفكرية السريعة

وهذه العوامل لا تقتصر على التنافس الاقتصادي والسياسي بمعناه الشائع ؛ وإنما تشمل أوجهاً أخرى على غاية من الخطورة، وعلى عوامل بعيدة الأثر راسخة النفوذ في صميم المقومات الخلقية والثقافية والنفسانية لهذه الشعوب التي تنقسم الآن إلى معسكرات متطاحنة، تهدد الإنسانية بويلات الذرة والهيدروجين وشتى أسلحة الحرب الحديثة المروعة

ولقد ظهرت في الآونة الأخيرة — في أمريكا وبريطانيا على وجه الخصوص — دراسات عميقة البحث، علمية المنهج، تحاول أن تلقي أضواء على تباين هذه المقومات الخلقية والثقافية والنفسانية في الشعوب المتخاصمة التي بلغت حدة خصومتها درجة يدركها المتتبع لمجرى الحوادث اليومية في عالم قلق مرهف الأعصاب

وسيحاول كاتب هذه السطور أن يستعرض في فصول قصيرة ألواناً من هذه النتائج التي وصلت إليها تلك الدراسات التي توخى الباحثون فيها أهدافاً إيجابية نزيهة — نظراً لما فيها من نفع يستعين به رجل العصر على تفهم الأحداث ومكافحة الإرهاق العصبي الذي تخلقه مشاكل السياسة الدولية

والتعرف على حقائق العلاقات الدولية ضرورة حتمية لأهل الشرق العربي، وليست ترفاً ثقافياً يمكن الاستغناء عنه

فالمواطن في مصر أو سوريا أو العراق أو نجد مثلا له مصلحة وصلة مباشرة بالتطورات السريعة المتلاحقة التي توجه العلاقات الدولية هذه الأيام — مصلحة وصلة أكثر وثوقاً من مصلحة المواطن الذي يعيش في الارجنتين أو الأوروغواي أو غيرهما من هذه الدويلات التي تعيش في أمريكا اللاتينية مثلا — وهي قسم من العالم لا تجاوره، وتهدده تهديداً مباشراً حدة التوتر الدولي وأخطار الحروب العالمية كما تهدد الشرق الأوسط مثلا

والدراسات التي أشرنا إليها تتوخى التعرف معرفة جوهرية صادقة على حقيقة السلوك الإنساني لمختلف الشعوب — وعلى الأخص تلك التي في يدها مقدرات السلم والحرب

ومعادل هذه الدراسات علوم اجتماعية متنوعة — منها علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي، والأنتروبولوجيا وفلسفة التاريخ والاقتصاد بالإضافة إلى العلوم الاقتصادية والسياسية. فالاقتصاد والفلسفة السياسية والتاريخ لا تكفي للتعرف على أسباب التوتر في العلاقات الدولية. فالكثرة من المعلقين السياسيين في الصحف السيارة يقتصرون في تحليلهم للعلاقات الدولية على مطالعاتهم في التاريخ والاقتصاد والسياسة المعاصرة. وقل أن تجد من يزود نفسه بالدراسة العلمية العميقة لتلك العوامل النفسانية والاجتماعية المتباينة التي تؤثر في سلوك الشعوب والجماعات القومية إزاء المشاكل السياسية والعسكرية والاقتصادية التي يواجهها العالم المعاصر

وقد فطنت لهذه الحقيقة مؤسسة اليونسكو التابعة لهيئة الأمم فكلفت جماعة من أهل الاختصاص بالتعرف على دراسة العوامل الخفية الآنفة الذكر وتعميمها بين المثقفين من صناع السياسة وأولئك الذين يوجهون الرأي العام في مختلف الدول والأمصار — من صحفيين وكتاب

وقد صنفت اليونسكو دراساتها في أربعة أبواب : —

الأول : — يبحث في نفسية المواطن في بلد ما وعلاقته بالخلق القومي العام لذلك البلد

وتحت هذا الباب يلمس الباحث ألوانا من الحقائق الجوهرية الخطيرة التي تسير الاتجاهات العاطفية لذلك الشعب في صلاته مع العالم الخارجي، ومبلغ التوتر أو الصفاء الذي ينتج عن سير تلك الاتجاهات العاطفية وما تخلق في المراحل النهائية من عنف أو مسالمة إذا ما اصطدمت بالاتجاهات العاطفية والمقومات النفسانية للشعوب الأخرى

بمعنى آخر — فإن التعرف على المقومات الخلقية لشعب ما والتي يتميز بها عن غيره من الشعوب — التعرف على هذا الاختلاف يساعد كثيراً على تفهم أسس التنافس السياسي الدولي الشديد الذي نقرأ عنه في الصحف السيارة ونتساءل عما إذا كان من الممكن التغلب عليه وإحلال الصفاء والانسجام مكان الخصومة والتحدي

والثاني : — يسعى لفهم الصورة التي يحملها شعب ما عن الشعوب الأخرى ، وهل هذه الصورة صادقة — بمعنى أنها منطبقة على الصورة الحقيقية لتلك الشعوب — أم أنها وليدة الاستنتاج الخاطئ الناتج عن سوء الاجتهاد والانفعال النفساني العليل ، والمعرفة المشوهة التي يحملها ذلك الشعب عن الحقائق التاريخية والاقتصادية والسياسية للشعوب الأخرى ؟

وهذا بمعنى آخر — محاولة للتعرف مثلا على مبلغ الصدق فيما تدعيه دولة أو شعب ما بأن خصمه مجبول على العنف والغطرسة، وأن الحقد والدسيسة من خصائصه الخلقية الأصيلة ، وأن ذلك الخصم مهما صادقته وحاولت توثيق العلاقات الودية معه فإن أهله مفطورون على التحدي والخسة والغدر . فكثير من الناس مثلا يعتقدون بأن الشعب الألماني « شعب حربي » لا يلتزم السلم ولا يشارك في حفظه حتى لو توفرت له أسباب الطمأنينة السياسية والعسكرية والاقتصادية . فمثل هذا الاعتقاد ظاهرة خطيرة لها أثرها البعيد في سلوك الشعوب تجاه الشعب الألماني من جهة؛ وفي سلوك الشعب الألماني تجاه الشعوب الأخرى من جهة أخرى . فأنت إذا اقتنعت بأن الناس لا تؤمن بأنك حريص على الوداد والصداقة فإنك ستسلك في المراحل النهائية — سلوك تحدد ميسمه يأسك من إزالة هذه الصورة الخاطئة التي يحملها الناس عنك : وللصبر حدوده

والثالث : — يحاول أن يتعرف الأسباب التي دفعت شعبا من الشعوب لأن يحمل صورة خاطئة عن شعوب العالم الذين يعيش فيه . ويحاول كذلك أن يحصر تلك الأسباب في إطار علم النفس الاجتماعي مستندا إلى الحقائق الاقتصادية والعوامل التاريخية والسياسية التي تعيش في الحياة القومية لذلك الشعب

وفي علم النفس الاجتماعي أسلحة يعتقد العارفون بها إزالة أسباب القطيعة وسوء السلوك والعقد النفسانية التي هي ليست وليدة التنافس الاقتصادي والقلق السياسي فحسب ، بل هي كذلك ناتجة عن الجهل بالمقومات الخلقية والثقافية للعائلة الإنسانية على نحو ما أشرنا إليه . وفي استطاعة أولي الدراية كذلك أن يلجأوا لتلك الأسلحة لتحقيق السيطرة والتفوق السياسي والعسكري والاقتصادي على الشعوب الأخرى

والرابع : الوصول من هذا التبويب والدراسة السابقة إلى حصر الأسباب التي تدفع الشعوب إلى الشقاق والعنف وإلى الحرب والقتال

وهذا الحصر لا يكون بدراسة التنافس الاقتصادي وحدة الجدل السياسي — كما أشرنا سابقا — وإنما يكون بتمحيص المؤثرات الثقافية والاجتماعية للشعوب المتخاصمة ، ومن أمثلة هذا التمحيص معرفة الطريقة التي يربي بها ذلك الشعب أطفاله في سن الحداثة

فقد حاول مثلا أحد العلماء في الأنتروبولوجيا البريطانيين من الذين قاموا بدراسة التوتر الدولي على ضوء ذلك العلم — المقدمات الخلقية للشعب العربي ، فوجد العرب — والشعوب الشرقية إجمالا -- تزم أطفالها في سن الحداثة زما يقيد اليدين والرجلين تقييدا كليا ، ويمنع الطفل من الحركة ولا يترك له من أعضاء الجسد ما يوفر له الاتصال بالعالم الذي يحيط به سوى فمه وعينه . واستنتج العالم من ذلك أن الشعب العربي تبهره مظاهر العظمة والقوة المحسوسة (بواسطة العينين) ، وتؤثر فيه البلاغة (بواسطة الفم) . ولذلك فقد أشار على الدول والشعوب التي تتصل بالعرب بأن تبهرهم بألوان العظمة والبأس الجسيم (من طائرات وأساطيل وقوات عسكرية يراها بعينه) وأن يخاطبهم — أي العرب — بالمنطق المعسول والكلمات المنتقاة

هذا مثل واحد من أمثلة عديدة على هذا اللون من الدراسات التي يطمح كاتب هذه السطور أن يلفت إليها النظر في استعراضه لبعض المؤثرات الجوهرية التي لا يفطن إليها كثير من الناس في معرض تفكيرهم وتأثرهم بمجرى العلاقات الدولية

نيو يورك — للكلام صلة — **عمر حليق**

٣٦٠٤٦

الثنائية والألسنية السامية

للأستاذ الأب مرمرجي الدومينكي

نص البحث القيم الذى ألقاه الأب الفاضل فى الجلسة الأخيرة لمجمع فؤاد الأول بدعوة منه

من المتجلي للعيان ولا يختلف فيه اثنان هو أن مصر المحروسة متبوئة عرش الزعامة والتقدم بين سائر البلاد العربية ، ولا سيما فى ميدان النهضة الثقافية والعلمية واللغوية . ومن ظواهر ذلك الجامعات المتعددة ودور العلوم ودور الكتب الكثيرة ، ولجان التأليف والترجمة والنشر . ومن ذلك خاصة خدمة اللغة العربية والسعى فى إنعاشها لتصبح آلة مرنة فتجارى الحضارة والمعارف العصرية . ومن تلك الوسائل الفعالة هو مجمعكم الموقر المحلى باسم مؤسسه؛ ذلك العاهل الأعظم حامى العلم واللغة ملك مصر «فؤاد الأول» وتحت ظل ورعاية نجله وخلفه الملك المعظم فاروق الأول المالك سعيدا . ولذا أشعر بغبطة وحبور لوجودى بينكم ، أنتم علية أرباب العلم والأدب والحكمة ، وسدنة حرم هذه اللغة العربية الكريمة ، سيدة جميع لغات بنى سام . وقد لبيت بكل افتخار دعوتكم اللطيفة لأبسط لكم كيفية محاولتى المؤازرة فى خدمة المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية ، وهى وسيلة قد بذلت الجهد فى تأليفى قصد تبيان فوائدها الجمة ، وإن ظهرت فى أول وهلة غير مألوفة ، فأقول :

من العلوم العصرية التى نشأت على يد أرباب البحث فى البلاد الغربية « علم المقارنة » الذى طبقوا أصوله على مختلف الفروع العلمية ، فنجم عن ذلك حقائق ثمينة ومفيدة ، كانت بقيت مجهولة لولاه . فهناك اليوم علوم مقارنة الفلسفات والشرائع والآداب واللغات . وضمن دائرة اللغات تولدت موازنة الصوتيات والصرفيات والنحويات والمعجميات ومن ذلك كله المقارنة الألسنية السامية

ومعلوم أن الساميات الأمهات تنقسم إلى طوائف ، منها الطائفة الشرقية وهى اللغة الأكدية الداخل فيها الأشورية والبابلية ؛ والطائفة الغربية الشمالية الشاملة الكنعانية والأرمية والعمورية . الكنعانية فرعان : هما الفينيقية والعبرية . والأرمية فرعان أيضا : هما الأرمية الغربية ، والأرمية الشرقية . ولهجتها الفصحى هى السريانية . ثم هناك الطائفة الغربية الجنوبية الشاملة اللغات العربية واللغات الحبشية . العربية تتشعب إلى فرعين : العربية الجنوبية ، وفيها السبئية والحميرية ، والعربية الشمالية ، ولهجتها الفصحى هى العربية القرآنية . اللغات الحبشية ثلاثة فروع : الجعزية ، وهى الفصحى القديمة ، ويليها الأمحرية والتكرية

هذا ، ولم يعد يكفى للتقصى عن أصول الألفاظ العربية أو السريانية أو العبرية أن يكون الباحث متضلعا من واحد أو اثنين من هذه الألسن ، بل لا بد أن يكون واقفا على قواعد وخواص معجميات كل هذه الساميات الأمهات ؛ وما يرجع إلى كل واحدة منها من اللهجات ، فضلا عن معرفة بعض الألسنة غير السامية التى لها علاقة بالعربية أو بغيرها من الأخوات الساميات

ثم إن علم التأصيل فى المعجمية غير متوقف على الإشارة إلى كلمة من الكلمات مستعملة أو واردة فى اللغة الفلانية ، بل الارتقاء إلى اللغة الأم الصادرة عنها اللفظة المذكورة . وغير كاف الوقوف عند اللسان القناة المارة فيه تلك المفردة ، فإن ادعى أحد الباحثين أن هذا الحرف سريانى دخيل فى العربية ، وظهر بالتقصى أنه ليس بسريانى بل مسرين ودخيل من اليونانية أو الفارسية أو الأكدية أو العبرية ، فلا يجوز إذ ذاك القول بسريانيته ، وهو غير سريانى ، إذ قد يكون دخيلا فى كلتا اللغتين من لسان ثالث ، مثال ذلك الألفاظ التالية الواردة فى العربية والسريانية مما : فردوس .. pardeyse ، بستان Bustana بيغا .... Babga ، باغ Bag ، باذنجان .... Badingana أسطوانة Estuna أبنوس Abanusa أسفين Esfina كبة ، كبنا ، بدوى ، بدوايا

فهل من المعقول الذهاب إلى أن كل هذه الكلمات سريانية دخيلة فى العربية ، فى حين أن التقصى يثبت أن الست الأول منها فارسية ، وأن أبنوس وأسفين من اليونانية ، وأن كبة وبدوى من العربية ذاتها ؟

ثم إن المقارنة الألسنية السامية غير متوقفة على البحث فى لغة واحدة من الساميات ، بل فى جميعها . ثم يتحتم اعتبار هذا المجموع كلغة واحدة قد تفرقت خواصها وأسرارها فى مختلف

اللغات الأخوات ، مما يقتضي معه الاستعانة تارة بمميزات الواحدة لفائدة الأخرى ، وطورا السعي في إثارة الغامض في هذه بما هو واضح وصريح في تلك ، فلا يكفي والحالة هذه وضع أصول الساميات الأخر بإزاء المادة العربية ؛ لأن مثل هذا العمل لا يلقي على المواد المبحوثة إلا نورا ضئيلا ، ولا يأتي إلا بفائدة جزئية ، لعجزه عن إيضاح التناسق المنوي ، وإزالة التضارب والتنافر، ليس بين المفاهيم العربية وحسب، بل بين مداليلها ومداليل أخواتها السامية البواقي

ثم لتأصيل الألفاظ عن طريق الاشتقاق ، هناك قاعدة لازمة الاتباع ، وهي الانتقال من الفحاوى المادية المحسوسة إلى المدلولات المجردة والمجازية ، ومن حياة البداوة إلى حياة الحضارة ، ومن مزاولة الرعاية والزراعة إلى معالجة الصناعات والفنون والعلوم . ومن هـذا القبيل نجد العربية آلة من أنفع الآلات تبز سائر أخواتها السامية ، إن لم نقل اللغات البشرية

إن الناشئين اليوم في عصر التمدن والرقي على اختلاف ضروبه ، ليكرهون البادية ماقتين حياتها البدائية ، وهـذا معقول ، لأن الرقي غير متوقف على الرجوع إلى الوراء ، ولا على النزول إلى أسفل ، بل على التقدم دائما لبلوغ الكمال قدر المستطاع . ويود بعض معاصرينا إجلاء معاجمنا من كل الكلم التي يشتم منها رائحة الحياة البدوية ، حتى لا يبقى فيها سوى الألفاظ والتعابير الحضرية ، لابل المصرية الحديثة وما يلزم أن نستحدثه منها اندفاعا مع تيار التقدم المتواصل

هذا من حيث الروح والذوق العصري ، أما نحن ، معشر المتخصصين للمعجمية ، وما تشمله من اشتقاق وتأصيل وثنائية وألسنية ، فلا نتمالك من الإشادة بفضل أولئك اللغويين القدماء الذين قاموا بالرحلات العلمية ، قاضين السنين الطويلة بين ظهراني أهل الوبر ، فجمعوا لنا كل تلك المفردات البدوية الخالية منها الألسن السامية الأخر التي لم تجمع ولم تدون مفرداتها إلا إبان بلوغ أربابها طور الحضارة . ففقد منها أغلب الأصول والرساس الأولية بمعانيها المادية المحسوسة . وفي هذا يظهر الفضل العميم ، فضل اللغة العربية على شقيقاتها ، والدليل الساطع على قدم ألفاظها ، مع أنها دونت بالكتابة آخر جميعا ، مما نتحقق معه هذه الحقيقة الجليلة ، وهي أن العربية هي المفتاح النفيس لفك مغاليق كثير من الغاز المعجمية السامية ، وذلك بالرجوع إلى الرس الثنائي الصائن عادة أقدم المدلولات ؛ أي الفحاوى البدائية الفطرية المحسوسة الملموسة

فلنر ما هي هذه الثنائية

إن طريقة الاشتقاق والتوسع في الساميات قائمة على الارتقاء من الأقل والأنقص ، إلى الأكثر والأكمل ، أي حسب السنة الطبيعية؛ سنة الرقي ، وليس بالعكس إلا من باب الاختزال وهو نادر ، ولا يحدث في طور التكون والنشوء ، بل في عصر الكهولة والهرم . وأنا من القائلين بأن الاشتقاق في العربية يتم بزيادة حروف ، لا بطريقة النحت أو التركيب . لأن اللغات السامية عموما ، والعربية خصوصا ، ليست بنحتية ، والعلاقة الأساسية الثابت وجودها في القالب بين المشتق والمشتق منه هي اللحمة أو الصلة المنوية ؛ مع توسع الدلالة وتطورها بالانتقال من حيز المعاني اللادية الحسية إلى حيز المداليل المجردة والمجازية ، ثم العقلية الروحية

وفي طور التكون اللغوي تبدأ الزيادة بالحروف عن طريق السماع دون القياس ، فتنشأ بضرب من الفوضى ، ثم تسير رويدا رويدا في سبيل التكامل والاستقرار . فمنها ما يبلغ درجة القاعدة والقياس المطلق أو النسبي ؛ ومنها ما يتخلف فيبقى دون نظام ومما يساعد على استمرار هذه الحالة هو مفاجأة اللغة المتكلم بها بتدوينها بالكتابة ، وإنزالها منزلة اللغة الفصحى المتصفة بالميل إلى المحافظة على الحالة الراهنة قدر مستطاعها لمقاومة التطور اللازم طبيعة كل الأشياء

هـذا ، وأنا من الذاهبين إلى عدم وجود علاقة طبيعية ضرورية بين الصوت أو الحرف أو الكلمة وبين المعنى المتعلق بها . لأن الأصوات مجردة ؛ وليس في طبيعتها ما يجعلها دالة حتما على الشيء الفلاني أو الفحوى الفلاني ، إنما تنشأ الصلة بين الصوت والمعنى اتفاقا ، أو بإرادة المتكلمين من طريق السماع أو الاستعمال

أنا غـير جاحد أن لبعض الكائنات الطبيعية دويا ، وللحيوانات أصواتا . بيد أن الناس لا يقتبسون القدرة على

التصويت أو التكلم بالتعلم من الطبيعة أو الحيوان . لأن ذلك من خاصية أعضاء النطق فيهم ، وبفضل هذه الخاصية يتمكنون من محاكاة ذوى الطبيعة وأصوات الحيوانات ، لكن بطريقة متباينة ، إذ أن كل فريق أو قبيلة أو شعب يتوهم فيها سماع نوع من الدوى والصوت ؛ فيحاكيها طبقا لهذا الوهم

وبعض الأحيان تجرى هذه الزيادة بالحروف لمقاصد تلوح متضادة . دونكم أحرف المارضة فإنها تستخدم لا لأداء دور واحد خاص بكل منها ، بل للقيام بأدوار عدة متمايزة . فالياء تستعمل للغائب والمثنى وللجمع المذكر والمؤنث ، والنون للمتكلمين . لكنها تأتى أيضا فى السريانية للغائب الفرد والجمع ، وفى بعض اللهجات العربية للمتكلم . الهمزة تكون للمتكلم بيد أنها ترد للغائب فى طائفة من اللهجات المفورة : التاء تدل على المخاطب المذكر والمؤنث ، وعلى المثنى والجمع المذكر والمؤنث . وكذا القول فى الميم المتوجة بعض الصيغ . فإنها تدخل على اسم الفاعل واسم المفعول والمصدر الميمى واسم المكان والزمان واسم الآلة وفى كل هذه المبانى تختلف الدلائل والحرف واحد

زد على ذلك أن الحرف عرضة للإبدال فى العربية كما فى أخواتها السامية . فإن الثاء العربية تبدل تاء فى الآرمية وشينا فى العبرية والأكدية والحبشية . والذال العربية تبدل زايا فى العبرية والأكدية والحبشية ودالا فى الآرمية . ثم إننا نجد فى العربية العين والغين والحاء والخاء ، وفى اللغات الباقية لا يوجد سوى حرف واحد يقابل الاثنين العربيين ، وفى الأكدية لم يبق إلا الخاء ، فضلا عن هذا ، هناك التغير الطارئ على بعض الحروف بفعل التفخيم ؛ فإن التاء تفخم فتضحى دالا ، ثم طاء ، ثم ظاء ، والسين تفخم فتصبح صادا ، والضاد العربية تمسى صادا فى العبرية ، لا ، بل عينا فى السريانية ، وهلم جرا

كل هذا دليل على ما أبديناه من أن الحروف مجردة من ذات طبعها . إنما تخصص لها معان وأدوار بالسماع والاستعمال . ومن باب الإطلاق يمكن القول بأن كل الحروف — ما عدا المتنافرة غير القابلة التجاوز تركيبا ولفظا — تصلح لأن تكون حروفا للتوسع ، ولا سيما فى طور التكون ، أى طور الرساس الأولية الثنائية الذى يعقبه طور الثلاثية بزيادة حرف ثالث على الحرفين الرسيين . أما تداول هذه الحروف فتباين ، إذ منها ما يستخدم أكثر ، ومنها ما يبقى نادر الورود

ولنا مثال فى العربية على بقاء حالة الفوضى وعدم الخضوع لقياس فى المصادر الثلاثية المجردة ، وجموع التكسير ، وحركة عين الماضى ، والمضارع ، من المجرد الثلاثى ، وعدم ورود كل المزيدات لكل واحد من المجردات . فإنها كلها لا ضابط لها ، فتستند على السماع ، وتعرف من المعاجم . وكذا القول فى الحروف التى تزاد على الرساس والأصول . فإن بعضها يستمر دون قيد ولا رابط على الحالة البدائية ، ولا اعتماد فى شأنها إلا على الصلة المنوية بين المزيد والمزيد فيه ، قدر ما يتوصل إلى تحقيقها بعد التطورات والتقلبات الكثيرة التى طرأت على اللغة بكرور الأحقاب إلى أن بلغت طورها الحالى

أجل ، فى المزيدات الثلاثية والرباعية تجرى الزيادة غالبا بحروف معينة للدلالة على معان خاصة ، كما هو مفروض فى طور التصرف . إلا أن هذا ذاته لا يتم باطراد مطلق ، إذ لا يخلو من أثر الفوضى القديمة ، لأن كثيرا من هذه المزيدات المعدودة قياسية تعود إلى الدلالة على المجرد عينه ، زد على ما ذكر أن هذه المزيدات يراد بها مفاهيم مختلفة ومبتعدة أحيانا غاية الابتعاد عن المعنى المقصود من زيادة الحرف المعين لهذه الغاية ، أعنى أنه لا يزال فيها شئ من الفوضى أو عدم الاستقرار الخاص بالطور القديم

دونكم مثلا ، وزن « أفعل » المزيد فيه همزة ، حسب قول الصرفيين ، للدلالة على التعدية نحو أجلسته ، أكرمته ، أبعدته . فإنه خلافا للقصد المتوخى من زيادة الهمزة ، يراد به فحوى الدخول فى الشئ . نحو أصبح : دخل فى الصباح ، والمبالغة نحو أشغلته : بالغت فى شغله . والصيرورة ، نحو أقفرت الأرض: أضحت قفرا . والسلب ، نحو أشفى المريض: ذهب شفاؤه وأخيرا يأتى بمعنى المجرد ذاته ، مما ينافى المراد من الزيادة . نحو أقلت البيع ، بمعنى قلته أى فسخته . كذا وزن « فعل » المضاعف ، أى المكرر العين للتعدية فإنه يطلق ، فضلا عن هذه الدلالة الخاصة ، على التكسير ، نحو قطعت الحبل : جعلته قطعا . وعلى السلب ، نحو قشرت العود : نزعت قشره ، وعلى اتخاذ الفعل

من الاسم بنحو خيم القوم : ضربوا خيامهم . كذلك وزن « استفعل » الدالة فيه الزيادة على الطلب ، فإنه يستعمل أيضا لوجدان الفعل . نحو استعظم الأمر : وجده عظيما . وللتحول، نحو استحجر، وللتكلف ، نحواستجرأ . وللمطاوعة ، نحو أراحه فاستراح ، وأخيرا يرجع إلى فحوى المجرد عينه كأنه لم تكن زيادة. نحو استقر بمعنى قر ، وقس على ذلك بقية المزيدات ، تلك التى ندعى قياسية بتخصيص دور الحرف المضاف إليها

البقية فى العدد القادم — **الأب مرمرجى الدومينيكى**

بريطانيا العظمى

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

عتاب :

أخذ على بعض الأصدقاء من القراء الكرام إننى فى هذا الوقت الذى تقف فيه بريطانيا ضد أمانينا القومية وحرياتنا قد امتدحت الخلق البريطانى؛ بل إننى أفضت فى الثناء على البريطانيين وكان العكس أوجب . وقد سرنى عتابهم هذا ولكنى وجهت إليهم السؤال التالى : « أتعتقدون أن البريطانى غير مخلص لوطنه ؟ وهل تشكون فى تضحيات البريطانى من أجل وطنه ؟ فكان الجواب بالنفى . قلت « إن بريطانيا عظيمة لأن أبناءها مخلصون لها . » وإذا أردنا نحن أن نسود فى أوطاننا وأن نسترد ماضى مجدنا فعلينا أن نقوى عزائمنا وأن نوحد صفوفنا وأن نقبل على التضحية كما كان يفعل أباؤنا وأجدادنا

وأمر آخر أحب أن ألفت النظر إليه، وهو أنه ليس من الخير لنا أن نتغاضى عن عيوبنا ، وأن نتجاهل أسباب قوة أعدائنا ، فيكون مثلنا كمثل النعامة التى تخفى رأسها وقت الخطر وتعتقد أنها بهذا قد أصبحت آمنة

وأمر ثالث أحب أن أذكره ؛ وهو أن هذه المقالات تتسم بسمة البحث العلمى ، والبحث العلمى يجب أن يكون بعيدا عن الأهواء الوطنية والعواطف السياسية، ومن ثم فأرى لزاما على أن أعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله ؛ وإذن فيجب على أن أمتدح البريطانيين حين يستحقون المدح، وأن أهاجمهم أشد الهجوم حين يستحقون ذلك . ولا يستطيع إنسان كائنا من كان أن يبرر عدوان بريطانيا علينا واحتلالها لأراضينا وعملها على فصل جنوب الوادى عن شماله ، وتشريدها لعرب فلسطين بمؤازرتها لليهود ، ولكنى أحب أن أقول لقومى :

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب

وأنا أعد حضرات القراء بأننى قبل أن أختتم مقالاتى عن بريطانيا سأعقد فصلا خاصا عن علاقتنا بها وكيف يجب أن تقوم

مشكلات

ولعل حضرات القراء يوافقوننى على أننا متخلفون عن ركب الحضارة قرنا كاملا ، وأننا فى عصرنا الحاضر نواجه مشكلات واجهتها الأمم الأوربية فى القرن التاسع عشر وتغلبت عليها . ولعل من الخير لنا أن نعرف كيف تغلبت أوربا على هذه المشكلات حتى ننتفع بتجاربها ونستفيد منها

تنقسم المشكلات التى نواجهها إلى قسمين : ١ : مشكلات سياسية وقومية وأهمها الوحدة والجلاء، وسأتناولها بالبحث حين أتحدث عن ألمانيا وإيطاليا

٢ : مشكلات اقتصادية واجتماعية وهى ناشئة عن دخول مصر فى الدور الصناعى ، وسأتناول فيما يلى البحث فى الانقلاب الصناعى فى إنجلترا والمشاكل التى قامت بسببه وكيف عالجتها وتعالجها إنجلترا

الانقلاب الصناعى :

يقول أحد المؤرخين « إن الناس قد ظلوا حتى أواخر القرن الثامن عشر يفلحون أرضهم وينسجون ملابسهم وينشرون أخشابهم ويصنعون قواربهم كما كان يفعل قدماء المصريين . » وهذا القول صحيح من غير شك ؛ ولكن الجزء الأخير من القرن الثامن عشر قد شاهد انقلابين خطيرين وخطرين جدا ؛ وهما فى الواقع أساس الحضارة الحديثة

أما الانقلاب الأول فهو الثورة الفرنسية ، فهذه الثورة هدمت الأنظمة السياسية والاجتماعية التي كانت قائمة في ذلك الوقت ، وأقرت الحرية والإخاء والمساواة في الحقوق والواجبات للناس جميعا ، وكذلك أقامت مبدأ سيادة الشعوب إذ قررت أن الأمة مصدر السلطات . وهكذا بدأ قيام الديمقراطية الحديثة

أما الانقلاب الثاني فهو الانقلاب الصناعي ، وهذا الانقلاب ليس أقل تأثيرا في حياتنا المعاصرة من الانقلاب الأول، بل ربما كان أعظم منه أثرا وأشد خطرا . ذلك أنه في الوقت الذي كان رجال الجمعية الوطنية في فرنسا يثيرون اهتمام الناس بخطبهم وعباداتهم الجديدة، وفي الوقت الذي كان نابليون يشغل أذهان الأمم والدول بحروبه ومعاركه ، كان هناك رجال يوجهون اهتمامهم إلى المرأة التي تدير المغزل في منزلها، وإلى النساج الذي يحرك نوله في بطء ، وإلى عمال المناجم وهم يكافحون المياه التي توشك أن تغمر مناجمهم، وقد ظل هؤلاء الأبطال في جهادهم حتى اهتدوا إلى اختراعات غيرت أساليب الصناعة وبالتالي غيرت مجرى حياة الإنسان . وقد كان أهم هذه الاختراعات من غير شك استخدام البخار في إدارة الآلات وفي تسيير القطارات والسفن البخارية

وقد كان من أهم نتائج هذه المخترعات انتقال الصناعة من المنزل إلى المصنع ، وانتقال المصانع إلى المواطن التي يكثر فيها الفحم والحديد ، فإن من الحديد تصنع الآلات ، وبالفحم تسير هذه الآلات

وفيما يلي أهم نتائج الانقلاب الصناعي :

١ : نمو مدن مزدحمة بالسكان : ذلك أن الصناعة وقد انتقلت من المنزل إلى المصنع تركزت في مناطق الفحم مما أدى إلى هجرة كثيرين من العمال الزراعيين إلى المراكز الصناعية ، وقد أغرتهم زيادة الأجور نسبيا في المصنع عنها في المزارع

٢ : أدى هذا إلى نقص كبير في الأيدي الزراعية العاملة ، وقد حلت هذه المشكلة باستخدام الآلات الزراعية الحديثة

٣ : سوء حالة العمال في المناطق الصناعية بسبب قلة أجورهم وسوء مساكنهم وانتشار البطالة بينهم وإرهاقهم بالعمل

٤ : ظهور طبقات رأسمالية كان يملك أربابها المصانع والآلات، وقد عمد هؤلاء الرأسماليون إلى استغلال العمال في تنمية أموالهم وزيادة أرباحهم ، ولم يلبث هؤلاء طويلا حتى نافسوا كبار الزراع والتجار في ميداني الحياة السياسية والاجتماعية

٥ : زيادة الإنتاج مما أدى بدوره إلى نشاط التجارة ، فمثلا كانت تباع منسوجات منشستر في ملبورن وفي الصين وفي غيرها

٦ : تحسن طرق المواصلات والنقل

٧ : تسابق الدول إلى الاستعمار لتضمن موارد المواد الخام والأسواق

٨ : ظهور نهضة فكرية رائعة ، وزيادة الاتصال بين أنحاء العالم ، وظهور آراء اقتصادية حديثة أهمها مبدأ حرية التجارة الذي نادى به آدم سميث في كتابه « ثروة الأمم »

٩ : وجدير بي أن أذكر أن إنجلترا كانت أسبق الأمم إلى الانقلاب الصناعي لأسباب : أهمها زوال النظام الإقطاعي منها قبل غيرها، وثانيا لأنها استطاعت في أثناء عصر الثورة الفرنسية ونابليون أن تسيطر على أسواق العالم التجارية ، ولذلك عملت جاهدة بعد انتهاء هذا العصر على الاحتفاظ بسيطرتها التجارية على هذه الأسواق

١٠ : ازدياد عدد السكان في إنجلترا زيادة خطيرة

الاشتراكية :

على أن أخطر نتائج الانقلاب الصناعي كان ظهور الاشتراكية، فقد قاسى العمال أهوالا كثيرة بسبب قلة أجورهم وازدحامهم في المراكز الصناعية وسكناهم في مساكن غير صحية واضطرارهم إلى العمل ساعات طويلة مضنية داخل المصانع ، مما دفع كثيرا من المفكرين إلى العمل على وضع حد لإرهاق العمال وتحسين حالتهم

وقد نبتت الفكرة الاشتراكية في رأس بعض رجال الثورة الفرنسية ، وأنا أحب أن أنقل هنا ما قاله أحد رجالها واسمه بابيف Baboeuf فقد ذهب إلى أن الطبقات الفقيرة لا يهمها أي تغيير بقدر ما يهمها أن توفر لها أسباب الحياة الكريمة حيث

قال : « عندما أنظر إلى الفقراء فأجدهم محرومين من الكساء والأحذية التي يقومون بصنعها ، وعندما أنظر إلى تلك الفئة القليلة العدد التي لا تعمل، ومع هذا فهي ليست فى حاجة إلى شيء لأن كل شيء ميسر ، أومن أن الحكومة إن هي إلا مؤامرة قديمة قامت بها الأقلية ضد الأغلبية . »

واقترح أن تستولى الحكومة على الأراضي وموارد الثروة ، وأن تعمل على استغلالها لمصلحة الشعب وطبقاته جميعا

ورغم إعدام بابيف فقد ظلت مبادئه حية فى أذهان الفرنسيين لدرجة أن بعض أتباعه نادوا بها من جديد عند قيام ثورة يولية ١٨٣٠ فى فرنسا . وقد أذيعت هذه المبادئ فى إعلانات طبعت ١٨٣٢ جاء فيها :

« إننا لا نريد انقلابا سياسيا وإنما نريد انقلابا اجتماعيا . إن التوسع فى الحقوق السياسية وفى الحقوق الانتخابية وفى إقامة حق الاقتراح كلها أشياء جميلة ؛ ولكن غايتنا الرئيسية أن يكون هناك توزيع عادل لأعباء ، الدولة ولما يجنيه أبناؤها من فوائد . إننا نبغى إقامة حكم عادل يكفل تحقيق المساواة لجميع أبناء الدولة . »

وقد كان من أبرز زعماء الاشتراكية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر روبرت أوين الأنجليزى ولوى بلان الفرنسى، ولكن « كارل مركس » الألماني يعتبر واضع الاشتراكيه الحديثة

ولد كارل ماركس ١٨١٨ وتربى فى جامعتى بون وبرلين ، ولكنه نفى من وطنه بروسيا (ألمانيا) بسبب آرائه الحرة، وفى منفاه وضع كتابه « رأس المال » The Capitale وأهم الآراء التى جاءت فيه :

١ : إن طبقات الأمة المحظوظة هى التى قبضت على الحكم فى الماضى ، وإن طبقة المولين والرأسماليين من أصحاب المصانع هى الطبقة المحظوظة الحديثة ، أما العمال فهم ضحايا الرأسماليين . وتنبأ ماركس بأن طبقة العمال سيقوى نفوذها حتى تصبح الطبقة الحاكمة ، وعندئذ تقوم الدولة الاشتراكية . (لاحظ أن رئيس وزراء بريطانيا الآن هو زعيم حزب العمال)

٢ : كان العمال حينذاك محرومين من حق الانتخاب، وقد تنبأ ماركس بأن العمال سينالون حقوقهم الانتخابية وسيصبحون نوابا ، وحينئذ يصبح فى مكنتهم إصدار التشريعات اللازمة لصالحهم، وأهمها أن تضع الدولة يدها على موارد الثروة ووسائل الإنتاج مثل المناجم والمصانع ووسائل النقل والأراضى الزراعية، وتستغله لمصلحة الشعب وهو ما يعرف الآن بالتأميم . وجدير بنا أن نلاحظ أن حكومة العمال تعمل على تحقيق ذلك فى بريطانيا

٣ : عدم وجود فوارق اقتصادية بين الطبقات، وقد تساءل ماركس « لم يدخل الحياة طفلان أحدهما له امتياز على الآخر ؟ أحدهما يملك العزب والضياع والمصانع ، والآخر لا يملك شروى نقير ؟ »

٤ : استنكر ماركس أن يعيش بعض الأفراد عالة على الشعب، وقرر أن جميع الأفراد يجب أن يؤدوا عملا للدولة ، وألا يكونوا عالة على المجتمع

٥ : يجب أن تسيطر الأمة على رءوس الأموال

٦ : يجب أن يكون التعليم بالمجان لجميع أبناء الدولة

وقد انتشرت هذه المبادئ فى أنحاء أوربا وكان لها أثر كبير فى الحياة الأوربية المعاصرة . فقد آمنت بها إنجلترا فنال العمال حق الانتخاب، ثم أصبح منهم النواب وتولوا حكم بريطانيا. ومن غير شك تعمل حكومة العمال على تحسين حالة العمال وعلى تقليل الفوارق بين الطبقات ، فنراها تفرض الضرائب التصاعدية التى قد تصل إلى ٩٥ ./. من دخل بعض الأفراد، ونراها تعمم نظام التأمين الصحى والاجتماعي ، وتيسر التعليم لجميع أبناء الشعب ، وتعمل على تأميم موارد الثروة والإنتاج ، ولا عجب فإن حزب العمال يؤمن بأن « الغرض الحق من المجتمع هو أن يرفع ويحفظ كرامة ورفاهية الفرد » وبأن من حق العمال على الدولة أن يعيشوا كراما

أبو الفتوح عطيفة
مدرس أول العلوم الاجتماعية
بسمنود الثانوية

من أدباء الحجاز

عبد العزيز الزمزمي

— ٢ —

للأستاذ عبد الله عبد الجبار

ولقد كان الأديب الحجازى عبد العزيز الزمزمى ينظم الشعر حتى بعد أن وهى جسده ووهن عظمه ، وضعفت قوته . وكانت قريحته تسعفه وهو فى سن السبعين بنظم القريض . ففى عام سبعين وتسعمائة أنشد قصيدة عذبة ، قوية النسج ، جميلة الديباجة ، يقل فيها أثر التعمل والتكلف ، وفى مفتتحها هذه الأبيات :

دعاك إلى زيارته الحبيب ... فهلا إذ دعاك لها تجيب
أياداعى الفلاح وأنت داع ... تلين بما دعوت له القلوب
لقد أسمعت لو ناديت حيا ... ولكن شأن من تدعو غريب
إذا سمع الندا ونوى نهوضا ... تنوء به وتقعده الذنوب
وتظهر فيه عجزا لا يقاوى ... فيوشك جسمه وهنا يذوب
ولكن ربما جذبته قهرا ... عناية من دعاه فيستجيب

ومنها يصف بزوغ فجر الإسلام :

أتيت بملة بزغت كشمس ... ولكن مالها أبدا غروب
لقد نسخت بها ملل فغابت ... طوالعها وحق لها المغيب
به الإسلام حين أتت غريب ... فآنس أهل ملته الغريب
تنادوا كلهم أهلا وسهلا ... هلم فعندنا السوح الرحيب
فكان لهم بنصرته اغتباط ... وكان نصيبهم نعم النصيب

ولقد كان من أهم الأغراض الشعرية التى احتلت مكانا بارزا فى شعر الزمزمى ، الحنين إلى الأوطان ، فهو بحكم رحلاته الكثيرة المتعددة ، وما كان يلقى فيها من عنت ومشقة ، وما يحسه من ألم لفراق الأصحاب والأحباب ، والأهل والولد ، يسفح الدم شعرا رقيقا يملأ النفوس أسى ، ففى رحلته الأولى إلى بلاد الروم شخص من مكة مع الركب المصرى إلى مصر ثم إلى الروم من البحر ، فلما وصل إلى منهل مشهور كان يرده الركب المصرى عادة يسمى (الوجه) وهو واد فسيح به شجر من الأراك ، تذكر مكة وما حولها من الأراك ، واشتد به الشوق والحنين إلى والدته وأخوته وبنيه ، وإذا هو يهتف بهذا القصيد :

حشا فيه من صدع الفراق قروح ... وجفن جفاه النوم فهو قريح
وحسب النوى قلب من الوجد خافق ... ووابل دمع فى الخدود سفوح
تضيق بى الدنيا إذا ما ذكرتكم ... وتمرض فى فكرى مهامه فيح
ولا سيما طفلى الذى من صبابتى ... ووجدى به روحى تكاد تروح
ولم أنس إذ فارقته وهو مطرق ... وألفت وجهى عنه وهو ينوح
ترى هل إلى أم القرى لى أوبة ... تزيح همومى والمنا وتريح
ويا حبذا (بالوجه) واد بسفحه ... أراك له طيب يشم وريح
مررنا به والركب وان من السرى ... وشمس الضحى وسط السماء تلوح
وقد أورقت أغصانه وظلاله ... ترف ومرأى العين فيه فسيح
ذكرت به وادى الأراك من الحمى ... وعيشا مضى فيه وظلت أنوح
وبرح بى وجدى إلى أن رأيتنى ... أقوم مرارا ثم ثم أطيح
رعى الله دهرا مر حلوا بمكة ... ليالى عنا النائبات نزوح
إذ العيش غض والربوع منيرة ... ودهرى بمهما رمت منه سموح
عذيرى من الأيام يجنين دائما ... على فكم من جورهن أصيح
تبين لى الوجه الذى لا أحبه ... ويخفين وجها لى إليه طموح

وربما لج بنفس الزمزمى لاعج الشوق وألح إلحاحا شديدا فاذا هو يناجى عروس الشعر بالقصيد ارتجالا . ومن ذلك أنه لما كان بمدينة (أدنه) وشاهد قافلة حمولتها فلفل ، وزنجبيل وقرنفل ، مما يحمل من مكة وجدة برا وبحرا إلى مصر والشام ، هتف به داعى الحنين وتذكر أرض الحجاز فانشد على البديهة قصيدة خفيفة جاء فيها :

وميض البرق بعد سنه ... نفى عن . ناظرى وسنه
وذكرى عهود هوى ... بها الأرواح مرتهنه
وهل نسيت فاذكرها ... إذن إنى من الخونه
وما بالعهد من قدم ... فما مرت عليه سنه
معاذ الله أن أنسى ... فروض الحب أو سننه
وقلبى كل آونة ... يجدد ذكرها حزنه
وبى شوق لأجياد ... أهاج من الحشا شجنه

ربوع هن لى سكن   وهل ينسى الفتى سكنه
سقى الله الحجاز ومن   أتى منه ومن سكنه

وإن ديوان الزمزمى الذى اقتطفنا منه النماذج السابقة لا يضم جميع شعره ، لأنه قصره على أبواب خاصة . وإن الباحث ليجد له قصائد ، أو إشارة إلى قصائد، فى أعراض متنوعة مبثوثة هنا وهناك فى بعض المظان ، فقد ذكروا أنه عارض القصيدة الميمية التى نظمها القاضى أبو السعود الرومى والتى مطلعها :

أبعد سليمى مطلب ومرام   وغير هواها لوعة وغرام

كما ذكروا أنه مدح أمير مكة أبا نمى بقصيدة طويلة معارضا بها قصيدة الخطيب (ابن داريا) وعفى الزمزمى فى مطلع هذه القصيدة على النحو الآتى من الغزل التقليدى المعروف :

ليحتس الصهباء من يحتسى   حسبى لى مرشفك الألعس
على أطلق منه كأسى ولا   توحش بحبس الكاس يا مؤنس
فى طرفك الوسنان والخد ما   يهزأ بالورد وبالنرجس
وجهك لى روض جديد إذا   أخلقت الأرض القبا السندسى

ولما توفى العلامة حامد بن محمود الجبرتى وكان له صديقا حميما عقدت بينهما أواصر الصداقة نحوا من خمسين سنة ، رثاه بقصيدة مطلعها على النحو الآتى :

أيها الغافل الغبى تنبه   إن بالنوم يقظة الناس أشبه
وتأمل فإنما الناس سفر   دار دنياهمو لهم دار غربه
كل يوم تحل فى السرح منها   عصبة منهمو وترحل عصبه
كيف يهنا الفتى بها وهو فيها   يشتكى دائما فراق الأحبه
واحدا إثر واحد قد تداعوا   للفنا يا لكربة إثر كربه

وهذه القصيدة الطويلة نجدها — أيها القارئ — فى النور السافر وهى تدل على وفائه لصديقه الذى يقول فيه :

مزجت روحه بروحى فأضحى   منطق نطقه وقلبى قلبه

وكان الزمزمى — إلى وفاته — حرا أبيا لا يقيم على ضيم استمع إليه وهو يرد على الذين لاموه فى تركه أهل بيته وانتجاعه اليمن دارا ، ذاكرا كيف سامه الولاة الخسف، وكيف تنكرت له الأرض ونبا به المكان وساءه الزمان، وكيف تبدلت الأحوال غير الأحوال، فإذا الذليل عزيز، وإذا العزيز ذليل، يستفزه الإذلال حتى اضطر إلى أن يخرج من مكة وحيدا فى الخفاء يلتمس مضطربا فى الخافقين . ولعل خروجه كان فى سنة ٩٥٨

رب قوم تفاوضوا فى حديثى   وأطالوا فيه وخاضوا وجالوا
زعموا أننى أسأت بتركى   أهل بيتى والكل كل عيال
لا تزيدوا نارا على فقلبى   فيه نار تأججت واشتعال
إن أرضى تنكرت وزمانى   ساءنى واستحالت الأحوال
فالحقير الذليل صار عزيزا   والعزيز استفزه الإذلال
قد رمتنى الولاة عن فرد قوس   أقصدتنى سهامها والنبال
كم هموم جرعتها ما عليها   لأبى تجلد واحتمال
واحتمال الأذى ورؤية   جانيه قذى فى الجسوم داء عضال
أكذا دائما أكون مهانا   ولسانى تفل منه النصال
ومكانى فى خدمة العلم سام   وبدرسى للطالبين احتفال
غصة لا يسيغها ريق حر   وشكاة يضيق عنها المقال
سعة الخافقين فيها اضطراب   وللأرض من أختها إبدال

عبد الله عبد الجبار
مدير البعثات العربية السعودية بمصر

قانصوه الغورى

سلطان مصر الشهيد

للأستاذ محمود رزق سليم

الفصل الثالث

جلسة صاخبة

رحم الله مصرباى ! لقد قتلته أطماعه ! وما أكثر ما تقتل الأطماع !

بهذه الكلمة نطق السلطان الغورى فى جمع من الأمراء وأرباب الدولة ، وذلك بعد أكثر من عامين من بدء سلطنته ، وقد اجتمعوا إليه يوما

فقال له الأتابكى قيت الرجبى : يامولانا ! لقد لقى جزاء تمرده . لقد كان معنا أخا كريما وصديقا حميما . ثم عزا الحسد قلبه فاحتله ، فتداعى على أثره وده ، وانهار صرح وفائه . وملكت الأطماع جماع نفسه . وصحبها الزهو والترف ، مع الوثوق والغرور بقوته . فانطمست أمام عينيه معالم الحق ، وانبهمت آيات الصواب ، فأصبح كالناقة العشواء تخبط على غير هدى ، وتسير دون جدوى ، ولم يتخذ لنفسه عبرة ممن سبقه من الأمراء الطامعين الطامحين الذين غامروا بأرواحهم فى ميدان لوثته الحقود والأهواء ، وأثارت حمية فرسانه نيران الحسد والبغضاء . فذهبوا طعاما صالحا لهذه النيران . وبقيت اللوثة تدمغ صفحات حياتهم وتشوهها

فقال طراباى : إنه معذور يا مولانا فى طموحه هذا ، الذى أورده موارد التلف والبوار ... ! فإن مولانا إثر من الله عليه بسلطنته المباركة ، خلع أول ما خلع ، على مصرباى . ورقاه إلى رتبة الدوادارية الكبرى ، ولم يكتف كرم مولانا بذلك ، بل وكل إليه مع الدوادارية ، الوزارة والأستدارية ، ثم مكن له فى شئون الدولة ...

أنسى مولانا أننا حين لجأنا إلى بيع الأوقاف لنستعين بها على ملء الخزائن الشريفة ، لكى نحشو به الأفواه الفاغرة ، ... لم نستطع ... فعدلنا إلى أخذ ريع سنة كاملة منها ، وإلى فرض أجرة عشرة شهور كاملة على أملاك القاهرة وسائر أنحاء البلاد ، ثم خفضت بعد إلى سبعة شهور ، بسبب ثورة الماليكين ضدنا . ولولاى إذ أنهيت إلى أسماع المقام الشريف خبر ثورتهم ، فوافق على مقترحى بتخفيض هذه الضريبة ، لوقع ما لا تحمد عقباه

فى أثناء ذلك يامولانا ! كان مصرباى أثناء ذلك مقيما فيما وكل إليه جمع ماله . فلقد وكل إليه أن يجمع ما فرض من المال على أملاك الصليبية إلى مصر إلى دير الطين إلى غير ذلك

شمر مصرباى عن ساعد الجد ، وكتب القوائم المطلوبة مستعينا بالمباشرين من أولاد ابن الجيعان . وبعث إلى أعيان الناس بتلك النواحى رسلا غلاظا شدادا لا يعصون ما أمرهم ... وأخذوا يعنتون على الناس بكل وسيلة مستطاعة ، وبكل حيلة قدروا عليها ، حتى وفوا بما فرض عليهم ... نحن حقا لا نؤاخذه بهذه الغلظة ولا بهذا الإثقال ، ولا بتلك الجفوة فى معاملة الساكنين والآهلين ، لأنه كان يقوم بواجبه فى جمع المال المفروض . . . وإنما ننعى عليه حبه للمال ، وانتهاز هذه الفرصة لأجمعيته منه .. وتدبير جزء منه لنفسه

قال السلطان : الحق أننا اجتزنا هذه المحنة بتوفيق الله ومعونته ، ولولاه سبحانه ، لفوجئنا بما لا نتوقعه . . لقد كان الجندى ثورة دائمة . . إذا خبت نارها آنا فتحت رمادها وميض النار . وأخذ الدساسون يدسون بينهم ، ويثيرون حميتهم ، ويوقدون نار الثورة بينهم . وكنا نحن من ناحيتهم نلتمس لهم العذر ... فلقد تأخرت رواتبهم جملة شهور ، ولم نقدم إليهم من نفقة البيعة شيئا ... ولكننا كنا مكرهين ، فلقد تسلمنا زمام السلطنة ، والخزائن خاوية على عروشها . تصر فيها الرياح صرير اليائس الحزين . وتسرح فى جنباتها الجرذان سروح الآمن اللاهى . فصابرناهم بالتهديد بترك السلطنة ... وطوراً ببذل الوعود والملاينة ...

ثم أحيينا أن نستولى على بعض أوقاف المساجد ، ونشرع فى

بيوتها لسد فراغ الخزائن، ونترك للمساجد ما تحتاج إليه منها لتظل مفتوحة للعبادة وذكر الله، وخير لنا أن تنفق أموال المساجد على الجنود السلطانية وضروريات السلطنة، من أن تنفق على المتعطلين من خدمتها، والمتبطلين من شيوخها، والكسالى الخاملين من مدعى المعرفة والوصول ... لكن وقف فى وجوهنا ثلاثة من قضاة الشرع وبخاصة شهاب الدين أحمد الشيشينى قاضى قضاة الحنابلة، وجهم لنا فى وجهه، وقبض لنا فى قسماته، وعبس فى غضونه، وأغلظ فى القول. ثم وسمنا بأننا نعبث بأموال الواقفين وأعيان وقفهم على غير ما يرغبون، وأننا لن ننفقها فى سبيل الخير المرسوم لها ..... كأن الخزائن الشريفة ليست سبيلا من سبل الخير، أو ليست مرجعا للبلاد وملاذا لها وذخرا وقت الشدة ... وكأن تهدئة خواطر الجند والقضاة على فتنهم، ودفع مرتباتهم، والعمل على استتباب السكينة بينهم وبين أهل البلاد ليست مظاهرا من مظاهر الخير، ولا معبرا من معابر البر، يصح أن تحول إليه هذه الأوقاف المباحة المأكولة ..... وجزى الله خيرا قاضى قضاة الحنفية عبد البر بن الشحنة، فإنه وحده دون الثلاثة القضاة الآخرين كان مسايرا لنا فيما ذهبنا إليه

ومهما يكن من شئ فقد أغضينا عن بيع الأوقاف، واجتزأنا بما فرضناه عليها وعلى أرباب الأملاك

قيت: الواقع يا مولانا! أننا وقتنا، واجتزنا التجربة بثبات وعزيمة، ولولا قوة إيمان كنا نستمدها من المقام الشريف، وصبر مكين تحلينا به تحت ظله، وإخلاص زدنا به تحت لوائه، لتفاقمت ثورة الجند، ولوجدنا لدى العامة من الملاك والسكان ما يجهدنا ويضنينا، وذلك لما أصابهم من الشقة بسبب ما فرض عليهم. وقد وقع منهم قلق واضطراب عدة مرات. حتى أدى ذلك إلى تعطيل البيع والشراء، وغلقت الحوانيت، وانفضت الأسواق. واحتجوا مرارا أخرى علينا. وتعرضوا لنا فى الطريق العام مهللين مكبرين تكبير الغاضب الهائج

وفى أحد أيام الجمعة، عقب الصلاة، قوبلت بجمع منهم غفير، تجاه باب زويلة. لقد رجمونى بالحجارة أنا والأمير طرابای، حتى اضطررنا إلى أمر الجنود فأعملوا فيهم السيف، وقتلوا ثلاثة أشخاص، وجرحوا آخرين ثم تفرق الجمع

وقد انتهز بعض السفلة والأوغاد والقطاع، هذه الفرصة، وعاثوا فى أرجاء القاهرة فسادا، فسلبوا ونهبوا. ولولا همة مشكورة بذلها الأمير علان الوالى، لما انقمع هذا الشر. لقد قبض على جماعة منهم، ووسط نحو أربعة عشر ... خرط أوساطهم بالسيف

ثم .. يامولانا! هناك الأشعبيون الطامعون الذين لا يحمدون الله على ما أولاهم من فضل، وحباهم من نعمة. أولئك الذين يفغرون فاهم كجهنم. ويقولون: هل من مزيد؟ ولا لهم إلا الاستحواذ على المال من الناس، ولا هم لهم من الخزائن الشريفة إلا أن يستدروا عطاياها ويستمنحوا جداها، أمثال .... مصر باى وجان بردى الغزالى.

لا أدرى لماذا حنق مصرباى — رحمه الله — على ... وعلى أزدمر ... وتربص بنا الدوائر وقعد لنا كل مقعد ..؟ ألأننا أوعزنا بالإغلاظ عليه فى أداء حساب ماجمعه ..؟ أم حسدا لقربنا من قلب مولانا السلطان ..؟ أم لأننا كنا نذوده سدا عن الاثيار بالسلطنة ..؟

السلطان: أما جان بردى الغزالى فقد أعطيته أمانى، فظهر لذلك بعد ما اختفى زمنا، هاربا منى، وقد خلعت عليه ورقيته إلى حجابة حلب، وأمرته بالشخوص توا إليها تلافيا لشره وحسما لنزواته، أما مصرباى فلقد لاقى حتفه مجاهدا فى سبيل أطماعه الباطلة، بعد أن أكلت الغيرة قلبه كما تأكل النار الهشيم ..! ألا تقص علينا أيها الأمير علان، قصة مصرباى كاملة. !

علان: أجل يا مولانا! إن مصرباى لما قبض عليه بأمر المقام الشريف، وبعد مشورة الأمراء، وأدخل إلى البحرة وقيد، لبث زمنا ثم سير إلى الإسكندرية، فظل فى سجونها ردحا من الزمان: ولكنه استطاع من بعد أن يفلت من سجنه ويهرب

لقد قيل إن مملوكه «إياسا» بعث إليه فى سجنه بهدية فيها شموع، ودس وسط هذه الشموع مبردا من الفولاذ! فتناول مصرباى هذا المبرد، وظل يعالج به قيده من كسر، فاستطاع بعد ذلك أن يفر ... وقد اختفى بعد فراره، وبحثنا عنه فى كل مكان فلم نعثر له على أثر. وقد احتلنا فى سبيل الظفر به بجملة حيل.

لقد أوزعنا إلى الجنود السلطانية أن يثوروا ضد المقام الشريف ثورة مكذوبة مفتعلة ، لنغرى مصرباى بالانضمام إلى صفوف العصاة الثائرين العصاة ، فنستطيع حينذاك القبض عليه . ولكنه لم يظهر .. وكأنه لدهائه فهم الخدعة فلم تجز عليه ...

وقد لبث مصرباى فى خفائه يجمع شمل مماليكه ويلم شعث أتباعه ، ويغرى الطامعين ذوى الأغراض بالالتفاف حوله . . . فالتف من حوله جماعة من الذؤبان والثعالب . . فأغراه هذا بالوثوق من نفسه ، وظن أن الأمر أصبح له ميسرا

فكمن برجاله فى طريق الأمراء حين نزولهم من القلعة من لدن مولانا السلطان فى تلك الليلة من رمضان التى نعموا فيها بتناول فطورهم على الموائد الشريفة . . . أراد مصرباى أن يقطع عليهم الطريق ، ويفاجئهم بالبطش بهم . . . ثم يزحف بمن معه إلى القلعة فيملكها ...

لكنه قد خاب فأله وكشف رخه وشالت نعامته . . فقد وقف المماليك حول أمرائهم وقفة روعته وزلزلت أقدامه ، حتى اضطر إلى الفرار هاربا بمن معه . ولكنه بعد أن جرح الأميران طراباى وعمر الزردكاش

رحل مصرباى بعد ذلك إلى الأزبكية ليجمع شمل أعوانه ويلم شعثهم . مغريا كثيرا من الأمراء والجنود أن ينضموا إليه ، ليعاود الزحف والهجوم ، ولكن لم يطعه أحد

ثم ذهبت إليه فى جمع حاشد من المماليك السلطانية ، فحملنا عليه حملة صادقة ، هو ومن معه من الثائرين ، حتى قتلناه شر قتلة ، وحملت جثته على فرس إلى الأبواب السلطانية الشريفة

طراباى : لو أن مولانا لم يغدق على مصرباى كل هذا الإغداق ، ولم يبسط له رداء الأمل إلى آخر مداه ، لما تطلع إلى أبعد من منصبه الذى رقى إليه ، ولكمكفت أطماعه ، وتضاءلت همامة نفسه وعجزت عن أن تطيع هواها ، ولما خدعته نفسه الأمارة بالسوء بأنه أهل للسلطنة أو الأتابكية . والنفس كالجواد إذا روخى له فى الخطام شرد وجمح ، وإذا جبذ من الزمام تطامن وكبح

السلطان : أيها الأمير طراباى ! إن لمصرباى على السلطنة يد لا تنساها ، فكان حقا علينا أن نبر له فى الجزاء ، ونجزل له فى العطاء .. لقد تعصب مصرباى للسلطنة قبل أن تتعصب أنت لها .. ودعا الأمراء إليها ، وأنت لاه عنها بجوار الملك العادل ، يغريك من بعيد بالأتابكية ، ويضمر لك فى نفسه الغدر والخيانة والحرمان والإقصاء عنها .. حتى فطنت أخيرا إلى مكره ، وبدأت تلمس خفى غدره . فانحزت إلى جانبنا ، ولكن بعد لأى ومراودة

أما مصر باى فقد دبر أمر القبض على العادل بهمة وعجلة وحزم . وكان أهلا لمنصبه . ذا كفاية مذكورة ، ودراية مشكورة ؛ وإقدام كان له الأثر فى النصر والظفر .. وما كنا لننمى على أحد كفايته أو نغض من شأنها ، أو نسد سبل العمل أمام مواهبه ، أو نجفوه ... إن السلطة العادلة هى التى تفسح المجال أمام الكفايات حتى تنتفع بإنتاجها . وإذا هى غضت من شأنها كبتتها ، حتى تستحيل بعد حين نارا محرقة يصعب إطفاؤها . ولا يثير حقد الأكفاء مثل الجفاء .. غير أن الرجل الكفء لا يشوهه مثل نكوصه وغدره ، وحيرته بين أطماعه وتردده . وإن عدم الولاء آفة الأكفاء . وهو حرى أن يطوح بهم نحو الحضيض ، ويسير ويسير بهم إلى الهاوية . وقد قيل : مصارع الرجال تحت بروق الطمع

طراباى : كنت يا مولانا بجوار العادل أؤدى واجبى . وحينما تبين لى وجه الحق ، وبدا لى أن مصلحة السلطنة فى أن أنضم إلى صفوف مولانا ، انضممت . وقد كنت فى سلطنة العادل أتابكيا بالنيابة . ثم عدت إلى منصبى بعد أن تمت السلطنة لمولانا . ورضيت بأن أستظل بظلها وأنضوى تحت لوائها فى مصاحبة أتابكى السلطنة الأمير قيت . وهأنذا لا أزال — كما كنت — رأس نوبة ، راضيا غير طامع . فلم يغننى مال ، ولم يستهونى منصب ، ولم أطفر بعينى إلى شىء تأباه مشيئة مولانا السلطان ، ووهبت لحياطة سلطنته الشريفة كل ما أدخر من روح وقوة ورأى

قرقماس بن ولى الدين « أمير السلاح » : ما أظن أن مولانا السلطان يشك فى إخلاص الأمير طراباى ولعله يضرب رجلا برجل آخر . . . أليس كذلك أيها الأتابكى قيت . . ؟

قيت : لا أدرى لماذا تغمز هذه الغمزة أيها الأمير قرقماس

بين يدى مولانا السلطان ! وهو أدرى ما تسكنه صدورنا لمقامه الشريف ، من حب مكين وإخلاص متين . وكأنى بك تتهمنى بالائتمار على فرار الشريف بركات أخى الجازانى من سجنه ، إن هذه تهمة باطلة ، وحجة ظالمة ، لكنها متداعية واهنة ، تحمل فى أردانها دليل بطلانها

إننى أنا الذى ذهبت بأمر مولانا السلطان إلى الأقطار الحجازية ، أميراً للحاج ، واصطحبت معى عدداً ضخماً من صناديد المماليك السلطانية للقضاء على الجازانى ، ذلك العربى الثائر هناك . فقضيت على ثورته ، وأطفأت نار فتنته . غير أنه استطاع أن يفر من يدى ، فقبضت توا على أخيه وإخوته جميعا ، وسقتهم أسرى يجرون الحديد إلى الأبواب السلطانية الشريفة، فثارت نفس مولانا السلطان حينما رأى الشرفاء فى القيد أذلاء، فأمر بسجنهم بدارى فى الأزبكية

قرقماس : أنت تعلم أيها الأمير أن مولانا السلطان قد فرض عليهم غرما ماليا ، ولكنهم لم يدفعوا منه شيئا . فوكل إليك أمر رقابهم ، حتى يؤدوا ما فرض عليهم . فسجنتهم فى دارك فكيف يفر الصيد من شباكك أيها الصياد الماهر ... ؟ وأنت أتابكى السلطنة وقائد جندها . ؟ إن فى هذه الحادثة لخطرا على سمعتنا ، وضياعا لما فرضه السلطان من الغرم ، وتهوينا من شأننا ، أمام الجازانى وعصبته فى بلاد الحجاز ، وفى ذلك خطر علينا عظيم . . ثم ... إن الله عليم بذات الصدور ... !

قيت : إذا كان السجين قد فر ، هو وإخوته ، فذاك تراخ وغفلة من الحراس ، وسأقتص منهم . أما أنا فلا أدرى كيف تستسيغ يا قرقماس ، أن ترمينى بأنى هيأت لهم أسباب الفرار . ؟ ألمال أبتغيه ؟ وقد وهب لى الله منه الشئ الكثير ، على يدى مولانا السلطان ... أم لجاه أبتغيه ؟ ومنا تستمد أسباب الجاه ، أم لمنصب أتطلع إليه ؟ وقد بلغت من المناصب الذرى...؟

حقا ! إنها لتهمة غريبة مريبة ، وإن فى النفوس شيئا ستتكشف عنه الأيام ... !

السلطان : أيها الأمير قيت ! إن المال لا حد لمطامع النفس فى جمعه ... ما دامت النفس قد أشربت حبه ... وأما المنصب فلا يزال أمامك فيه جولة ... ! إن هناك منصب السلطنة ... !

وهو منى القلب وقرة العين ومطمح الفؤاد

أيها الأمراء ! أنتم جميعا تعلمون أنى أزهدكم فى السلطنة ، وأشدكم جفاء لها ... فمن شاءها منكم فليتقدم فى غير مواربة ولا خيانة

إننى مستعد للاختفاء من الميدان فى هدوء وطمأنينة ، بقلب راض ونفس مستقرة شاكرة

لقد أقمت فى السلطنة زهاء ثلاثة أعوام ، وأنا أوطد فى دعائمها ، وأثبت من أركانها ، وأعالج من ثغراتها . ثم بدا لى أن أطمئن وأقر بالهدوء فيها حينا ... فاذا أنا حالم واهم ... وإذا الأمانى فى العيون سراب . وحقا يؤتى الحذر من مأمنه

قرقماس : حاشا يا مولانا أن يخيس أحد بعهدك ، أو يشق عصا طاعتك ، أو يخرج عن حظيرة ودك ... إننا لنسيل دماءه على حد ظبانا ، ونقطع أشلاءه على غرب سيوفنا . ونزهق روحه لتذهب للمعتبرين حديثا

ألا فليحدث نفسه بالسلطنة من شاء ، وليذهب به خيال الأمل إلى أبعد الأنحاء . فنحن من ورائه نقطع جسده بددا ، ونتركه طرائق قددا

ازدمر الدوادار : وأنا معك يا قرقماس . نحمى حوزة السلطنة ، ونبذل الروح رخيصة فى سبيل الذود عنها ، ودفع الكائدين عن مسها بالأذى

ثم لا أدرى أيها الأمير قيت ! لماذا كنا معا يدا واحدة ضد مصر باى ... ذلك الذى كان ينقم منا نحن الاثنين ... أليس ذلك لأننا كنا نحبط ائتماراته بالسلطنة ... وندفع كيده عنها ونكيد له كما كان يريد أن يكيد لها

قيت : مهزلة ! وثورة عابثة ! وفتنة فارغة ! ومجانة جادة ! ومزاح ثقيل الظل ! لا أدرى فيم تتحدثان ، وعن أى شئ تتكلمان ، وبأى امرئ تتهكمان ؟ ألا إن فى ذهنى لحية ، وفى كفى لعصية . وباطل اللامة ، يشوه الكرامة ... وأرخص ما يبذل للشرف الدماء ، وأهون ما يباع للعزة الدماء

ولكن قبل ذلك ... ! قولا لمن يرفع عقيرته بالدفاع عن السلطنة . . إن السلطنة قد عرفت مبلغ بلائنا وصدق ولائنا وحسن وفائنا . فاحفظوا على أنفسكم للكيد ، واخشوا مغبة

الدسيسة ، وأسفروا بوجوهكم عما تطمعون فيه ، فان النفاق دليل العجز ، وهو لن يغنيكم فتيلا

السلطان : لا تختصموا لدى . ولا توقروا قلبي بمثل هذه الشحناء ... إنكم جميعا عمد السلطنة . على سواعدكم تقوم ، وبأيمانكم تقوى وتشتد . وهي في حاجة إلى كل فرد منكم ، فكونوا لها حراسا ، واشملها سوارا ، ولتكن صلتكم الحسنى ورابطتكم المودة والإيثار . بكم ينعقد لها لواء العزة والمنعة . وينبسط بساط القبول والرضا

ذروا التغرير بالجنود ، وإغراءهم . وليفض كل منكم إلى بدخيلة نفسه ، ناصحا أمينا . وسيجد مني صدرا رحبا ، وسمعا خصيبا ، وقلبا سمحا ، ونفسا طيبة ، ومودة

طراباى : إنها لخطة حكيمة حازمة يا مولانا ! وشرعة منصفة ، وإني اعتمادا على مالي في قلب مولانا من رضا ، ومالي إلى نفسه من قرب ، وما يعرفه في من إخلاص ، وما تفضل به علي من ثقة . ألتمس من مقامه الشريف باسم طائفة منا ، ألا يقبض على أحد من الأمراء بالظنة ، حتى يظاهر له وجه الحق فيه أبلج ، ويتكشف له عنه الصواب وضاحا

السلطان: إذا ! أنتم تخشونني وتأمرون بي ؛ كما كنتم تخشون الملك العادل وتأمرون به ... وإن خشيتكم الباطلة لتدفعكم إلى التحريض على الفتنة بين الجنود ، ودفعهم إلى الثورة على السلطنة ، ألا إن هذه عادة أسلافكم الذين وجدتموهم على أمة ، وأنتم على آثارهم مقتدون

أيها الأتابكي قيت ! لقد أمرت بالقبض على مصرباى ، وجان بردى الغزالي . وغيرهما من الأمراء المتهمين بالدس والائتمار وإضرام الفتن ولكن هل كان هذا الأمر إلا بعد استشارتكم ؟

قيت : أجل يا مولانا !

السلطان : إذا ! م تخشون ؟ ولم تهابون ؟ مادام الإخلاص رائدكم ، والولاء قائدكم ... ؟ ألا إن هذه حالة لا يستقر معها قيام لسلطنة ، ولا يدوم بها هناء لسلطان

وإذا فصحيح ما علمته من أن بعضكم يأمر بي ، ويثير الفتنة في سبيلي ، ويتطلع إلى السلطنة ليشبع آمال طمعه

قرقماس وأزدمر معا : نحن على استعداد لتصفية هذا الموضوع ... وسيوفنا بين يدي مولانا مرهفة ، ورماحنا مؤتلفة ، وجيادنا معدة مصطفة ، وجنودنا شاكية السلاح واقفة

السلطان : أنا لا أبغي حربا ولا ضربا ، ولا لجاجا ولا خصومة ، إن الأمرة إذا تفككت عراها ، انتكث فتلها ، ووهى غزلها ، وإذا اختلف أفرادها ، خارت أعضاؤها وفجأها حسادها . وإذا تنابذ أعضاؤها اجترأ عليها أعداؤها ، ولم تعد تستطيع أن تجابه أمورها الخارجية بحزم كامل وعزم شامل

وهناك أعداء لنا في خارج بلادنا ، يتربصون بنا الدوائر ، ويقعد منا مقعد الثعلب من الفريسة ، يرقبها في غفلة مطمئنة حتى إذا أمنت جانبه ، فجأها ودق عنقها . ونحن أحوج إلى توجيه قوانا لكبح هؤلاء الأعداء

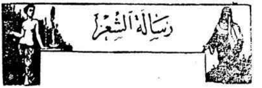
لقد سمعتم منذ حين أن الثائر « إسماعيل الصفوى » أراد الانقضاض على حلب . وكنا على وشك أن نجرد عليه حملة تأديبية

غير أني لا يهمني أمر الصفوى بمقدار ما يهمني أمر الدولة التي كونها بنو عثمان في بلاد الروم . لقد اتسعت رقعتها ، وعظمت ثروتها ، وهيبت سطوتها ، وأصبحت متاخمة لممتلكاتنا ، وبمقدار ما نحيط به ملكنا من اتحاد وقوة وحيلة ، تبقى مهابتنا في نفوسهم ، وتدوم مكانتنا من قلوبهم

لقد وفد إلينا قاصدهم -- رسولهم -- منذ حين ، وأقام لدينا ردحا من الزمان . لقد بعثوه إلينا ومعه هدايا ملكهم الثمينة ، رمزا للصداقة وعكينا للمودة ، وتأكيدا لحسن الجوار . وأغلب ظني أنه إنما شخص إلينا ، ليسبر مبلغ ما فينا من قوة ، وما لنا من التئام ، وما بيننا من صلة وألفة ، وما في بلادنا من ثروة ... وكل أولئك سيكون له أثره في المستقبل المرتقب في رسم سياستهم قبلنا

على أننا تلقينا هذا القاصد تلقيا حافلا ، ولم ندخر وسعا في إظهار عظمة مصر وقوة سلطنتها أمام عينيه ، ولم نقصر في التنويه بفضل أمرائها ونباهة شأنهم ومبلغ شجاعتهم

وأنت أيها الأمير أزدمر ، حينما توجهت إلى قناطر العشرة في زمن الربيع الزاهر ، اصطحبت معك هذا القاصد واحتفيت به احتفاء كان مضرب المثل ، وفهم منك مبلغ ما عليه سلطتنا



يا فلسطين ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

« إلى شباب العرب الأحرار فى كافة أقطارهم لعل فيهم من يرجع مجد فلسطين الذاهب ويؤدب هؤلاء الصهاينة الذين ما زالوا يكررون اعتداءاتهم على أبنائها المشردين »

* * *

أنف الحق أن يهان فثارا   وتحدى الأزمان والأقدارا
صاخباً يلطم الطغاة بكف   لم تعود حمل الحلى سوارا
خلقت للجهاد والطعن والضر   ب ، ورد المغير إما أغارا
قاذفاً فى مسامع الأمة العز   لاء ، شكوى تفتت الأحجارا
لاعناً « لجنة » تحاول وأد الحـ   ـق ، كيما تستعبد الأحرارا (١)
أيهان الأحرار والسيف مسـ   ـلول يقد الأجساد والأعمارا
صقلته الدماء حمراء سالت   من نفوس ترى المذلة عارا
هاجها حقدها فضجت شباباً   عربيا على الصهاينة ثائرا
هم بقايا الليوث من أمة العر   ب ، وأبطالها الكماة الغيارى
عرب دوخوا الممالك قبلاً   وأدانوا الشعوب والأمصارا
هم أسود الصحراء لم يألفوا الضـ   ـيم ، وكم تنجب الليوث الصحارى
شغفوا بالعلى وعاشوا على الد   هر ، أباة أعزة أبرارا
دوخوا الغرب بالصوارم والسمر ، ودكوا الحصون والأسوارا
كلما أركضوا الخيول على اسم الله ، حازت من السماء انتصارا
وإذا سار جمعهم للجهاد   واكب النصر جمعهم حيث سارا
إن نصراً به السماء استطالت   لجدير أن يملأ الأسفارا

* * *

إيه شعرى أثر كوامن حقد   فى الشباب الذى هوى الأخطارا
وتظلم أو أسمع الغرب لحناً   ثورويا ، وحارب الأشرارا
نحن نأبى أن نستكين إلى الذ   ل ، ونأبى بأن نعيش أسارى

(١) — إشارة إلى اللجنة المدنة

من جاه وقوة وحول وطول . ورأى ما لبلادنا من جمال وروعة . وعندما أراد العودة إلى بلاده خلعت عليه خلعة ثمينة ، وحملته إلى ملكه هدية نفيسة تليق بمكانتنا ... ثم ... بعثت فى أثره الأمير « ثانى بك الخازندار » قاصداً من لدنا إلى ملكهم ، ليقوم بمثل ما قام به قاصدهم

هذه هى دولة بنى عثمان ... ثم هناك العربان فى بلاد الحجاز بل ومختلف جهات الديار المصرية ، يثورون من آونة لأخرى . حاقدين علينا معشر الجراكسة ناقمين منا ، يدعون أن البلاد بلادهم دوننا ، وأننا عنها جد غرباء ... يا لبلاهتهم ! كأن عشرات السنين التى انصرمت منذ ألف الملك المعز بن أيبك الجاشنكير دولته البحرية ؛ أو منذ ألف الملك الظاهر برقوق بن آنص ، دولته الجركسية ، ليست كافية فى نظر هؤلاء الحمق لتمصير عنصرنا ... ! وهؤلاء العربان الذين يدعون حقهم فى البلاد ، لم ينهضوا فى أغلب الأحوال ، إلى معونتنا إذا دهم البلاد عدو أجنبى ... ! فلله ما أشد حدبهم على بلادهم ، وما أنشطهم للذود عنها ... !

أيها الأمراء ! هكذا ترون أننا فى حاجة إلى اتحاد قوى وائتلاف صميم ... أما الخلف الذى أنتم عليه ، والتنابذ الذى يشيع بينكم ، والائتمار الذى تخفون إليه ، فحالة لا تقوم بها سلطنة ، ولا يهنأ بها سلطان — كما ذكرت ... لن ينفض هذا الجمع من هنا اليوم ، حتى تقسموا جميعاً على المصحف العثمانى ، أمام قاضى القضاة ، يمين الطاعة والولاء

فأقسم الأمراء ثم أقسم لهم السلطان . وأرسل إلى المماليك بالقلعة فأقسموا يمين الطاعة طبقة بعد طبقة

« للكلام بقية »

محمود رزق سليم
الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية

نحن من أرخصوا النفوس الغوا لى فى سبيل العلا فنالوا افتخارا
شرف المجد أن نعيش كراما لا أرقاء ، نستكين صغارا (٢)
أو ننسى بالأمس مجداً تليداً قد أضعناه ذلة واحتقارا

* * *

إيه تاريخنا المعطر بالنور أين ، وارو للملى الأخبارا
وتكلم بل اصرخ اليوم فالقو م ، سكارى وما هم بسكارى
قل لهم يانيام : قد كان مجد يتخطى الآباد والأعصارا
هل رأيتم آثاره ، هل سمعتم وهو يبكى ، فقلدوا الآثارا
ذبل المجد فى يديكم طريا وشكا من جفاقه الاندثارا
تلك أيامكم خوالد يزهو الدهر فيها ويستطيل فخارا
أنسيتم « ذى قار » والليل داج قبل « ذى قار » فازدهى واستنارا ؟
أنسيتم سيفاً من الله قد سل على الكفر قاطماً بتارا ؟ (٣)
أنسيتم « صلاح » يقتحم الموت ويقتاد جحفلا جرارا ؟ (٤)
فعلام ارتضيتموا الذل قيداً وطليتم وجه الحضارة قارا ؟
أو لستم أبناء من نوروا الد نيا ، وكانوا بأفقها أنوارا ؟
أو لستم فتحتمو « الصين » و « الهند »
قديماً و « والصرب » و « البلغارا »

* * *

أيها الناطقون بالضاد هبوا من سبات طغى عليكم وجارا
ذى « فلسطين » قسمت بين قوم غمطوا حقها الصريح جهارا
عاث فى أرضها اليهود فساداً واستباحوا النساك والأخيارا
كم فتاة تبكي أباها وأم تتمنى لبنها الانتحارا
وفتى كالهزبر سيق إلى الذبح وفى قلبه التمرد مارا
وكعاب كزهرة الروض فى الحسن أزاحوا عن طهرها الأستارا
لهف نفسى « لقدسها » كيف أمسى لأخس الأنام مأوى ودارا

لا « صلاح » يرد عنها الأعادى لاولا « خالد » يقيل العثارا
شغل العرب بالكلام عن الثا ر وهل يأخذ الكلام الثارا

* * *

البدار البدار يا أمة العر ب ، إلى الحومة البدار البدارا
لا تناموا على المذلة فالأبقا ر ، تأبى واستمو أبقارا
ذل من يحسب القيود سواراً فى يديه ولم يحطم سوارا
فسوار الذليل نير ثقيل ولو ان صاغه الدخيل نضارا
لا تقولوا خان الزمان وقولوا نحن خنا حفاظنا والذمارا
من أراد الخلود جرد سيفاً أو أراد الحياة بالعز ثارا
فزمان الرقيق راح مع الظلم وسوق النخاسة اليوم بارا

* * *

يا فلسطين ، يا أغانى البطولات عذابا على شفاه العذارى
أنت حلم النبى حققه العرب فأرضوا بذلك المختارا
يا منار الهدى لقد أظلم الحـق ، فكونى للجائرين منارا
لا تزالين مثلنا نشتكى القيد ، ونشدوا من وقعه الأشعارا

* * *

يا فلسطين ، يا سماء المروآت ، استفيقى قليل ذلك غارا
واستمدى للانتقام وكونى بركاناً ، إن مسه الضر ثارا
وأرسلى للجحيم كل ظلوم يتمنى لك الفنا والدمارا
واشهرى الحرب لا تهابى الصهايين ، وصبى على الطواغيت نارا
واسحقى المارقين من نسل « سكسون » فهم قسموا البلاد ديارا
واغضبى وافضحى نوايا طغاة تخذوا الحنث فى الوعود شعارا
ثم ثورى كالعاصفات إذا هبت وكونى على المدى إعصارا (٥)
وإذا لامك الجبان فقولى : صدأ القيد فى أكف الأسارى

بغداد عبد القادر رشيد الناصرى

(٢) ــ الصغار بفتح الصاد ــ الذل
(٣) ــ سيف الله خالد بن الوليد
(٤) ــ إشارة لصلاح الدين الأيوبى
(٥) ــ إعصار مفرد أعاصير

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

أثر الدراسات القرآنية في تطور النقد الأدبي

ألقى الأستاذ محمد خلف الله بك محاضرة بنادي دار العلوم يوم الخميس الماضي، موضوعها «أثر الدراسات القرآنية في تطور النقد الأدبي» ويبدو أن الأستاذ تحدث عن هيكل فكرته في هذا الموضوع حديثا مجملا مرتجلا، فقد أعد نقط الموضوع في ورقة كان ينظر فيها عند الحاجة للتذكر، ويخالط في حديثه بين العربية والعامية.

نبه الأستاذ المحاضر أولا، إلى أمرين يتصلان بالقرآن الكريم، الأول أن القرآن اعتبر منذ صدر الإسلام النص الأدبي الأول في اللغة العربية، والأمر الثاني أن الدراسات القرآنية خدمت اللغة العربية وأفادتها فائدة لم يقع مثلها للغة أخرى والأمران تنفرد بهما اللغة العربية دون سائر اللغات

ثم تتبع خطين في حياة النقد الأدبي، منذ ابتدأ عصر التأليف في القرن الثالث الهجري، يتمثل الخط الأول في الكتب التي ألفت خاصة بإعجاز القرآن وطرائق التعبير فيه، ويتمثل الخط الثاني في الدراسات الأدبية المتعلقة بالشعراء والخطباء والكتاب، فلما جاء القرن الرابع الذي ازدهر فيه التأليف وتميز بالتخصص في الموضوع، فألفت كتب في موضوعات خاصة وفي أفراد معينين بعد أن كانت المؤلفات جامعة — جرى ذلك أيضا فيما يختص بالبلاغة القرآنية؛ فألفت كتب في البلاغة كان الغرض الأول منها بيان ما في القرآن من إعجاز؛ وجمال في التعبير، وتعرض بعد ذلك لما ينطبق على النظريات البلاغية من النصوص الأدبية شعرا ونثرا. ثم جاءت بعد ذلك العصور المتأخرة التي تحولت فيها البلاغة إلى قواعد شغلت العلماء بالبحث والجدل فيها دون اهتمام يذكر بالنصوص ذاتها

وعنى الأستاذ في أثناء الحديث، بإبراز نقط، منها:

١ — أن كلمة «النقد» كانت مهجورة في الاستعمال، مع أنها هي التي تنطبق على تلك الدراسات من قرآنية وأدبية. وعلل ذلك بأن المتبادر من هذه الكلمة عادة بيان المحاسن والقبائح في النص المنقود، فتحرز الدارسون منها نظرا إلى القرآن الكريم، ولم يجرؤ على استعمالها إلا مؤلف أعجمي هو قدامة في كتابيه نقد الشعر ونقد النثر

٢ — اختفت الدراسات الأدبية — فيما عدا العمدة لابن رشيق — في العصور المتأخرة، ووجه المؤلفون كل عنايتهم إلى البلاغة باعتبارها أداة لإدراك بعض نواحي الإعجاز في القرآن وفهم أسرار البيان فيه، وكان غرض هؤلاء المؤلفين هو خدمة القرآن الكريم أولا وقبل كل شيء.

٣ — أن تراثنا في النقد الذي يتألف من كل تلك الدراسات يجب أن يكون أساسا أو ينبغي ألا يهمل في النقد الأدبي المعاصر الذي يجب أن يتكون من ذلك التراث ومما نقتبسه من مذاهب النقد الغربية الحديثة

وفي نهاية الحديث توجه بالخطاب إلى أساتذة اللغة العربية في المدارس، متسائلا: ماذا ينبغي أن تتضمنه مناهج التعليم في المدارس الثانوية من تلك الدراسات، ولفت النظر إلى وجوب الاستفادة في المدارس الثانوية — وخاصة في السنتين الأخيرتين — من المباحث البلاغية التي تهتم بالنظر في النصوص، مثل دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر، وذلك إلى جانب القواعد البلاغية التي تدرس الآن، ويعنى مع هذا وذلك بأساليب النقد الحديثة

وأنا لا أدري لماذا نصر على إرهاق التلاميذ في التعليم العام بتعليم البلاغة، وإن كنت أرجع ذلك إلى «القصور الذاتي!» الذي يدفعنا منذ القديم إلى سلوك هذا الطريق..؟

أسأل أولا: ما الغاية من تعليم اللغة للتلاميذ في المدارس في المرحلة التي نسميها التعليم العام؟ أليست هي أن يكتب الناشئون ويتحدثوا ويقرأوا كتابة وحديثا وقراءة عربية صحيحة؟ فما

هي الوسيلة إلى هذه الغاية ؟

المشاهد والذي أثبتته التجارب أن دراسة البلاغة بأنواعها لم تعمل غير تنفير التلاميذ من اللغة العربية ... وقد سمعت أحد المدرسين الذين عقبوا على المحاضرة يقول إن التلاميذ يفهمون التشبيه وأقسامه ويجرون الاستعارة ... الخ . وأقول إن التلاميذ المساكين يحفظون ذلك الكلام لأنه مطلوب منهم في الامتحان فقط . .

ولقد رأينا شيوخاً درسوا البلاغة واستوعبوا ما في كتبها ، وقضوا حياتهم في تعلمها وتعليمها ، وهم لا يكادون يحسنون كتابة سطر فصيح أويلقون حديثاً بعبارة سليمة. وعلى عكس هذا الضرب من أساتذة البلاغة ودارسيها ، نجد الأدباء ، من كتاب وخطباء وشعراء ، تجرى أقلامهم وألسنتهم بالفصيح المعجب من الكلام العربي المبين ؛ وما أحسب هؤلاء قد وقفوا طويلا عند مباحث البلاغة وعلومها

فقولوا لنا أيها الأساتذة الأجلاء: أي الطائفتين (علماء البلاغة والأدباء) أجدر أن تكون مثلاً في تحصيل اللغة العربية للناشئة من تلاميذ المدارس ؟

الأستاذ عبد الله حبيب :

أصدر معالي وزير المعارف ، في هذا الأسبوع قراراً بترقية الأستاذ عبد الله حبيب مدير خدمة الشباب بوزارة المعارف إلى درجة مراقب

كشكول الأسبوع

◘ تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فأنعم برتبة البكوية على صاحب العزة و « الرسالة » الأستاذ أحمد حسن الزيات بك ومحرر هذا الباب يتخذ لنفسه صفتين ، فينوب عن قراء الأدب والفن في تهنئة عميد الرسالة ، وينوب عن عزته فيشكر كل من تفضلوا بالتهنئة

◘ انعقد المكتب الدائم للجنة الثقافية بجامعة الدول العربية ، يوم ١٣ مايو الحالي برياسة الدكتور أحمد أمين بك ، ونظر في موضوع المؤتمر الثقافي العربي الثالث ، فقرر أن يعهد ذلك إلى اللجنة التي قرر المؤتمر الثاني تأليفها برياسة معالي الدكتور طه حسين باشا وعضوية ممثلي الدول العربية والإدارة الثقافية لتنظيم المؤتمر الثالث . وعلى ذلك تعتبر هذه اللجنة هي المختصة بتعيين زمان ومكان المؤتمر الثالث . والتمهيد له بما يتطلبه من الإجراءات

◘ في مجمع فؤاد الأول للغة العربية كرسيان خلوا بوفاة المرحومين الأستاذ أحمد حافظ عوض بك والأستاذ عبد العزيز فهمي باشا وقد فتح باب الترشيح لملء هذين الكرسيين وتقدم بعض أعضاء المجمع بترشيح بعض الأسماء ، ومن المرشحين الأستاذ سلامة موسى الصحفي المعروف والدكتور رمسيس جرجس خبير المصطلحات العلمية بالمجمع

◘ يعتزم الأستاذ زكي طليمات مدير فرقة المسرح المصري الحديث ـ تنظيم أسابيع أدبية فنية تربط النشاط المسرحي بالحركة الأدبية العامة. وسيبدأ بأسبوع « شوقي » في ذكراه القادمة في أكتوبر المقبل ، فتقدم الفرقة بعض مسرحياته ، ويحاضر بعض الأساتذة عن صاحب الذكرى وآثاره في عالم الأدب والفن . وبعد ذلك ينظم أسبوع لبرناردشو في نوفمبر ، وقد وقع اختيار الأستاذ زكي طليمات على مسرحية « رجل القدر » لشو ، لتمثل في الأسبوع المذكور

◘ تلقيت من الأستاذ محمود أبو رية رسالة يفوح منها الألم . يقول فيها : « إنه خرج في عهده (عهد الدكتور طه حسين باشا) في وزارة المعارف ، رجل قضى

مساعد . وهذا التفات كريم من الدكتور طه حسين باشا نحو تقدير الأدباء الذين يعرف معاليه مقدار المعوقات التي تقف في سبيل الحياة الكريمة اللائقة بهم والمثبطة لما يسكبون من عصارات النفوس وما يذيبون من شحوم الأعصاب إن كان لأعصابهم شحوم

وترقية الأستاذ عبد الله حبيب إلى مراقب مساعد إنما تعتبر أمراً ، بالنظر إلى ما فيها من استدراك لإهمال مضى ؛ وإزالة حواجز من سبيل الإنصاف وإنزال الناس منازلهم . أما المسألة في ذاتها فليست بذات شأن كبير بالنسبة إلى هذا الرجل الذي توافرت له المنزلة في عالم الأدب ، والمؤهل الرسمي العالي ، والخدمة الحكومية الطويلة ، ولكن الاعتبارات التي جرت الأمور في مصر على أن ترفع التافهين والفارغين قضت على مثل عبد الله حبيب أن يظل في الوظيفة ـ دون هؤلاء التافهين والفارغين . .

ظهر عبد الله حبيب في عالم الأدب من نحو ربع قرن ، اشتغل بتحقيق أمهات كتب الأدب بدار الكتب المصرية خمسة عشر عاما ، وشارك في النهضة القصصية المصرية الحديثة فكان أحد كتابها البارزين ، وله مجموعات من القصص ظفرت بها المكتبة العربية فيما ظفرت به من القصص الحديث ، هذا إلى جهوده في

الصحافة وما كتب فى النقد وما نظم من الشعر . وقدوار فى خدمة الحكومة دورة انتهت به إلى خدمة الشباب بوزارة المعارف. وما زلنا نذكر مهرجان الشباب للأدب والفن الذى قامت به الوزارة سنة ١٩٤٨ ، والذى كان عبد الله حبيب محمود النشاط فيه ، فكشف مواهب شباب نجحات فى الشعر والقصص والخطابة

فإن يقدر عبد الله حبيب بهذه الترقية ؟ فليس الأمر أن تزجى إليه التهنئة ، وإنما هو الاغتباط برعاية القيم والأقدار، فى وقت كادت تفقد فيه ما تستحق من اعتبار

مؤتمر اليونسكو :

وافق مجلس الوزراء فى اجتماعه الأخير ، على تأليف وفد مصرى فى مؤتمر اليونسكو برياسة معالى الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف ، وينتظر أن يبحر معاليه من الإسكندرية فى يوم ٩ يونيه

ويجتمع هذا المؤتمر بباريس ابتداء من يوم ١٨ يونيه ، فى دور انعقاده السادس ، وهو يضم أربعة وخمسين وفداً ، يمثلون الدول الأعضاء فى هيئة اليونسكو ، وكلهم من رجال التربية والعلوم والثقافة ، ولا يحضره أحد من رجال السياسة والحرب ، لأن الغرض من الهيئة العمل على تحقيق السلام عن طريق الرقى بالفكر الإنسانى

حياته كلها فى خدمة العلم والأدب بغير أن يسأل أحدا على مايقوم به أجرا ــ فى حين كان له الحق فى البقاء بعمله إلى آخر ديسمبر سنة ١٩٥٤ » ولم يفصح الأستاذ عن هذا الرجل بغير قوله إن الدكتور طه حسين يعرفه .. وقد تضمنت الرسالة عتابا أرجو أن يكون له موقع حسن فى قلب العميد الكبير

◻ قرر مسرح الكوميدى فرانسز بباريس ، تمثيل رواية « بجماليون » للأستاذ توفيق الحكيم بك

◻ جاء من باريس أن جامعة اكس آن بروفانس ، منحت الشاعر المصرى الأستاذ مختار الوكيل درجة الدكتوراه فى الآداب عن رسالته التى قدمها ، وموضوعها « الصحافة المصرية منذ عام ١٩١٩ حتى اليوم » والدكتور مختار من الأدباء الممتازين فى الشعر وفى الكتابة وفى الخلق ، ويسرنا أن نزجى إليه التهنئة

◻ أذاعت وكالة الأنباء العربية من بغداد أن السيد نورى السعيد رئيس وزراء العراق قبل إعادة الجنسية العراقية إلى السيد ساطع الحصرى ، وكانت هذه الجنسية قد سحبت منه لأسباب سياسية

◻ روى الأستاذ سيد إبراهيم ــ فى الندوة الكيلانية ــ ما جاء فى « الرسالة المصرية » لأبى الصلت أمية بن عبد العزيز المتوفى فى سنة ٥٠٠ هـ ، وكان قد زار مصر ــ قال فى وصفها :

« فان عيشها الرغد ؛ مقصور على الوغد،
وعقابها المر ، موقوف على الحر
وكم فى الأرض من بلد ولكن
عليك لعقوتى وقع اختيارى »

◻ نشرت « الأهرام » أن المباحثات بين وزارة الخارجية وبين مجلس المراقبة الدولية فى طنجة ، أسفرت عن موافقة هذا المجلس على إنشاء معهد فاروق الأول للثقافة الإسلامية فى طنجة، على غرار المعهد الذى أنشئ فى مدريد

◻ فى أحد الاحتفالات بذكرى « إقبال » فى كراتشى وقف الدكتور عبد الوهاب عزام بك سفير مصر فى الباكستان ، فتكلم باللغة الأوردية فى ذكرى الشاعر

وقد اتجهت اليونسكو أخيرا إلى رفع مستوى الجماهير فى العالم فوضعت مشروع التربية الأساسية الذى يقوم على أن يحصل كل فرد من أفراد العالم على حد أدنى من العلم والمعرفة يمكنه أن يعيش كريماً موفور الحاجات غير غير قابل للاستغلال أو الاستبداد ، فاهما مطالب بيئته وحاجاتها ، مشبعا بروح التعاون على خير المجتمع

وسوف يهتم المؤتمر الحالى بذلك المشروع فينظر نتائج التجارب التى اجتازها ، ويرسم الخطط الكفيلة بتحقيقه على نطاق واسع

ومن المسائل المروضة على هذا المؤتمر،والتى تتصل بالأغراض المصرية العلمية،موضوع الدراسات الصحراوية، فقد كان لإنشاء معهد فؤاد الأول للصحراء عصر صدى كبير فى الهيئات العلمية الدولية ، وكانت اليونسكو قد أنشأت مؤسسة لمشاكل المناطق الجرداء ، وسيهتم المؤتمر بدراسة الخطوات العملية التى يجب اتخاذها لتعزيز هذه المؤسسة . والمرجو أن تستفيد مصر من الأبحاث التى تجرى فى هذا الموضوع .فهى من أشد البلدان حاجة إلى استغلال الصحارى الواسعة المحيطة بها . ومما يذكر أن أراضى مصر المزروعة لا تزيد على جزء من عشرين جزءا من أراضيها ، والتسعة عشر جزءا الباقية صحارى جرداء

ومن تلك المسائل ، ترجمة روائع

الـكتب بين اللغات المختلفة؛ وقد سبق أن دعا معالي الدكتور طه حسين باشا إلى الاهتمام بهذا الموضوع في مصر، وألفت لجنة في وزارة المعارف لدراسته

وسينظر المؤتمر أيضاً في انتخاب عضو مصري في المجلس التنفيذي لليونسكو، بعد أن انتهت مدة الأستاذ محمد شفيق غربال بك الذي ظل عضواً في هذا المجلس منذ إنشاء هذه الهيئة

عباس خضر

الكتب

شباب وغانيات

تأليف الأستاذ محمود تيمور بك

للدكتور زكي المحاسني

في حياة كل أديب تطور. والأديب الذي يجثم على حال لا يريم عنها يكون صخري السجية، كأنه قد سمر بمكانه. وليس من صفات الحياة الجمود، وأفضل ما يميز الأحياء الحركة والتطور. كذلك حقت هذه الحالة على الأديب وعلى أدبه فكان أجل ما يميز واحداً من غيره دراستنا لمراحل هذا التطور في أدبه وشؤون تفكيره. ولو أتيح لكل أديب أن يسجل آثار العوامل التي غيرت مجراه؛ كما تغير أحداث الطبيعة مجاري الأنهار، وكما تبدل المواسم والفصول هبات الرياح؛ لأتى على ذكر أمور تغري بالمعرفة، فيها غرابة وفيها ظرف كثير. لم يتعود ذلك أدباؤنا ليوفروا المؤونة على النقاد والباحثين. وكان خيراً لو فعلوا ذلك؛ فهم أعلم بمصائر شعورهم وسير نفوسهم بين الأماسي والأصباح وعلى أطراف الشهور والسنين

وصديقنا القاص الكبير الأستاذ محمود تيمور بك قد خضع أدبه لهذا الميزان الاجتماعي والقياس النفسي. وأنا أجد أدبه مواتياً لذلك في تطوره واتساع آفاقه. لقد بدأ أدبه مرسلاً على السجية لا تأخذ لفظه وتعبيره عنجهية ولا كلفة. وكانت قصصه تجتذب قارئها بمعانيها وبساطتها. وكان القارئ يسلك إلى تلك المعاني من طريق قصيرة قريبة، وإن تكن طريقاً غير ممهدة الجنبات، ولا مفروشة الثرى، بالبلاط المنقوش

وحين استوى الأستاذ تيمور بك على أمد من الشهرة في عالم الأدب المعاصر أخذت قصته بالتطور، فأطلقت العبارة جناحيها في قصصه، وصار قراؤه يضمون إعجابهم بفنه القصصي إلى إعجابهم بأسلوبه وأدائه. وهذه الطريقة من التعبير الحر الذي ينبغي أن يضمن للقصة تخليدها. وقديماً قيل: ما خلد المرء مثل أسلوبه. وكان الجاحظ من هذا الفريق الذي يؤثر جمال اللفظ وحلاوة المبنى، بل كان يقول أكثر من ذلك في أن المعاني مطروحة بالطريق

ذلك ما أراه من آثار التطور في أدب القاص تيمور بك في مرحلة أولى من مراحل تجديده. ثم حدثت آثار ثانية في قصصه تدعو إلى أن تسميها تجديداً، أو تطوراً آخر

فلقد عرفناه في أكثر قصصه ذا سمت ووقور، غير متخفف في اللفظ ولا في المبنى، يسوق الحوادث في تجوالها الاجتماعي فيصور الشخوص تصويراً رائعاً، ويحلل المشاعر تحليلاً دقيقاً، آخذاً من البسيكولوجي بنصيب كبير. لكنه لم يكن قبل هذا الكتاب الجديد الذي أخرجه للناس وسماه «شباب وغانيات» قد خاض في حوادث الغرام العنيف العارم

كنت أقرأ منذ سنين قصة آنا كارينين للشيخ تولستوي فأعجب للعنف في تصوير الغرام الآثم الذي يهدد الأسرة ويشتت شملها؛ ويرى الزوجة في مطارح الرذيلة ومطاوي الخلاعة والعار، فلما قرأت قصص شباب وغانيات لتيمور بك قلت الآن أجد في شخوصه مثل ذلك الصخب النفسي الذي يصرخ فيه الهوى بصوت جاهر صراخ الذئاب النهمة التي يعلو عواؤها حين تمس في سواد الليالي

كان سامي، وهو بطل القصة الكبيرة من هذه المجموعة القصصية، صفحة نقية، لكن القدر شاء أن يسطر فيها بمداد

الهوى سطوراً فيها آثام وفيها تحول عنيف . فهو لم يسلم فى صغره من المفاسد . فحاضنته أم خضير تعلمه فنون الإغواء والإغراء . ثم نجد بطل القصة وهو سامى قد وقع فى حبين .. واحد لفتاة كانت بنت ناظر فى المدرسة الابتدائية التى كان يتعلم فيها ، وحب ثان وقع فيه لبنت امرأة سربة كانت تفد عليهم من استانبول بين الحين والحين . وتلتقى الفتاتان فى بيته ، وتـكيد الفنية منهما للفقيرة

وبعد ذلك تشتبك حوادث القصة اشتباكا فيه تعقيد حيناً وفيه إسجاح حينا آخر ؛ حتى يطلع المؤلف على القارئ بفجاءات هن من أجل الفن القصصي التيموري ، ما كان أبرعه فى أدائها ، فإذا أخو سامى وهو الذى نشأه ورباه يتزوج الفتاة المترفة اللعوب التي كان يعشقها سامى . ويغوص سامى فى وحول من المساوئ الخلقية فيـكون عشيقاً لزوجة أخيه . ثم يموت أخوه ويـكر الزمن كرته ويتسفل سامى ويرتاد بيوتاً داعرة ، فإذا هو ذات ليلة يرى فى مخدع من مخادع تلك البيوت الدنيئة زوجة أخيه

وههنا وجه التطور الجديد فى قصة تيمور ، فإن هذا القاص قد عرف أن الأجيال الآتية والمعاصرة ستحاسبه على قصصه ، وسيقول له قائلوها الناقدون الذين لا يشفقون ، إنه أهمل الفنن فى الحوادث الاجتماعية والغرامية وهى تقع فى الوجود ، بل تكاد تـكون مسارح زمننا وألاعيبه ، فأراد أن يدخل بقصصه فى هذه الزاوية . وهو تطور حديث المرحلة فى القصة التيمورية

واستطاع تيمور بك فى مجموعة قصصه كلها — منذ كتب القصة — أن يصور الطبقة الأرستقراطية لأنه قد عرفها وعاشرها وعايشها ، وهذه الطبقة لا يزال الفن يطالبه فى تحليل أغوارها وأسرارها . أما الطبقات التى دون ذلك فلا يخلو أدب القصة عند تيمور بك من تصوير معايشها وما يلقى البؤساء فيها من ضروب الحرمان . ويعوزه ههنا تصـوير أعمق وجلاء أكثر . فلقد سألوا الشاعر القاص المعاصر فرنسيس كاركو كيف استطعت أن تصور المباءات الشقية الموزة التى يصهرها الفقر كما تصهر النـار ذوب الحديد ؟ فقال :

— إنى عشت فيها طويلا وتعرفت فى حمأتها الوبئة

وقد أخذ على عميد القصة المعاصرة أنه ليس ذا نزعة فلسفية خاصة ، أو آراء معروفة يعينها يبثها خلال قصصه فيحملها شخوصه

لقد كان دوستويفسكي يحمل شخوصه آراءه . وفعل ذلك أناطول فرانس ، وبورجيه ، وشارل موراس . ويفعل هذا كثير من القصصيين المعاصرين . وقد سمعت كثيراً من آراء دوهاميل فى كلام شخوص رواياته ، وبدا لى تحليل نفسه خلال أبطاله . وهذا يعود إلى طبيعة المؤلف وحالتـه من هدوء يلازمه أو إعصار يهيجه

ورائد القصة المعاصرة تيمور بك فى قصته الأخيرة شباب وغانيات دخل زاوية جديدة فى فنه إذ أدخل لوناً عنيفاً على قصصه . وسيأتى دهر ينظر فيه القارئون أدبنا المعاصر ويؤثرون يوم ذاك التصريح على التلميح ، والنقد على التقريظ . وجدير بنا ألا نترك لهم مجال القول فينا ذا سعة ؛ لأن بأيدينا تصوير الوجود على ما هو موجود دون غلو وتقصير . ومن حق القراء على الأدباء ألا يقصروا من أجلهم فى تعمق الأمور وجلاء الصور . كما يكون من شأنهم أيضاً أن يستخلصوا من أبطال الرواية آراء المؤلفين

هذه كلمة فى ثمرة واحدة من شجرة طيبة خيرة . وتيمور بك جواد فى التأليف ، خير بالقصص ، يتمنى النقاد والـكاتبون أن لو تناولوا آثاره كلها بالدرس والتحليل . فإنه لا نشـفى الغليل حسوة من ماء عذب فرات ، ولا إطلالة واحدة على روض جميل . وما كان أدب تيمور إلا النهر العذب والبستان الخير الريان

القاهرة — زكى المحاسنى

القسم الأول
من كتاب الملل والنحل

تحقيق وتعليق الأستاذ محمد فتح الله بدران

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

ظهر هذا الكتاب القيم ، أو على الأصح القسم الأول منه في ٦٧٢ صفحة من الحجم الكبير بتحقيق وشرح وتعليق الأستاذ الجليل الشيخ محمد فتح الله بدران الأستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف

وقد عكف الأستاذ بدران نحو عشر سنين على كتاب الملل والنحل للامام الشهرستاني المتوفى عام ٥٤٨ هـ - ١١٥٣ م دراسة وبحثاً وتحقيقاً ، وهذا القسم هو أول ثمرة لهذا المجهود العلمي المشرف الطويل ، وسيليه الأقسام الثلاثة الباقية المكملة للكتاب بتعليق الأستاذ بدران ، حيث حقق نصوص الكتاب ، وعرض أصوله وابتكر فهارسه ، وانفرد بتقسيمه ، ومهد لتخريجه ، وعلق عليه ، وحلل الكتاب ، وترجم لؤلفه

ومما يضاعف من قيمة هذا العمل العلمي القوي المشرف أن الناشر نشر مقالة زردشت في المبادىء التي سقطت من شتى طبعات الكتاب وترجماته ، ومن الكثير من مخطوطاته أيضاً ، وأنه نشر مقدمة الكتاب التي قدم المؤلف بها كتابه للوزير نصير الدين ، وقد سقطت كذلك من طبعات الكتاب المتعددة . . هذا فضلا عن تقسيمه الكتاب تقسيماً علمياً منظماً ، وعنايته الكبيرة به في النشر والإخراج

إن هذه الخدمة الجليلة لكتاب « الملل والنحل » لتدل على مواهب أصيلة ، واطلاع عميق ، ودراسات واسعة ، وفضل كثير ، وهي لون من ألوان كفاح العلماء في سبيل الثقافة الإسلامية وإحياء آثارها ، فحيا الله الأستاذ بدران ، وبارك هذا المجهود الحافل

محمد عبد المنعم خفاجي

البريد الأدبي

تحقيقات جغرافية:

إذا كانت محطة الإذاعة المصرية قد ضربت الرقم القياسى فى الأخطاء النحوية واللغوية، وفى توارد اللحن على ألسنة المذيعين والمحاضرين والمحدثين، فإنها قد حرفت فى أحيان كثيرة أسماء البلاد الجغرافية

وذلك لأن الكثيرين فيها ينسون أو يتناسون عمداً أنهم فى بلد عربى إسلامى، اسمه «مصر»، وللعرب والمسلمين تاريخ طويل، مملوء بالحوادث والأمجاد والأيام حلوها ومرها، وقد تركوا وراءهم دويا فى العالم، وصبغوا أنحاءه بلغتهم وثقافتهم وأفكارهم، وهذا شيء لا يمكن أن يزول ويفنى بالسهولة التى يتصورها البعض فى مصر، والأسماء التى أطلقها العرب على البلدان فى العالم هى التى يجب أن نسمعها كما نطقها العرب عندما تذاع نشرة الأخبار من محطة الإذاعة المصرية. فنحن لا ننحت أسماء غريبة عنا، ولا نقلد الفرنجة فى نطقهم، وإنما نريد أن نسمع الأسماء تذاع كما كان ينطقها العرب

من قبيل ما سمعته ووعته أذنى:

توليدو	بدلا من	طليطلة
سفيل	»	إشبيلية
جراندا	»	غرناطة
كازا بلانكا	»	من الدار البيضاء
ألجيه	»	من الجزائر

وقد تعود بعض المذيعين بنطق بيرما ــ على الطريقة الأمريكية بدلا من بورما

فهل نجد من يلفت نظرهم إلى تحقيق الألفاظ الجغرافية التى قد أذاعتها؟ إننا نؤمل وننتظر!

كنت منذ أيام فى زيارة لصديق عزيز وأستاذ كبير، فوقع فى يدى كتاب تحت اسم «أطلس تاريخ القرن التاسع عشر»، تأليف وجمع الأستاذين أحمد نجيب هاشم ومحمد محمود نجا، طبعته مكتبة النهضة المصرية فى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، وبينما أقلب صفحاته وقع نظرى على الخريطة (٦) أمام الصفحة (١٦٦) وهى خريطة خاصة بحملة الدردنيل سنة ١٩١٥، فرأيت الأسماء منقولة من الأصول الأفرنجية؛ نقلا حرفيا تماما عن أصولها؛ خذ لذلك مثلا

كوم كيل	بدلا من	قوم قلعة
تشاناق	»	جناق قلعة
اتى بابا	»	عنى بابا

زد على هذا التحريف فى كيليد البحر، وسد البحر، وغير ذلك من الأسماء التى كان يسهل على المؤلف الجغرافى أن يرجع فى تحقيق أسماء البلدان إلى الأصول العربية والتركية وهى معروفة ومتداولة

لقد راجعت قبل كتابة هذه الكلمة الخرائط الواردة فى مؤلفات فون ساندرس والقواد الإنجليز عن الحملة وما نشره ضباط البحرية عن العمليات التى قام بها أسطول الحلفاء: وبين يدى مجموعة الجرائد المصرية لذلك العهد وفيها ذكر الدفاع المجيد لهذه الأسماء التى نقلتها صحف مصر وقتئذ بأسمائها الصحيحة كما أوردتها؛ فهل ننتظر ونؤمل من المشتغلين بأمور الجغرافيا بعض الاهتمام بأمور التاريخ كما يفهمه المسلمون ويعرفه العرب

أحمد رمزى

قطع الحديث

يتصل بقولة «الزيات بك» الرائعة؛ فى أدب الحديث ما تزاحم به الألسنة من أساليب المقاطعة، وتقول «الأساليب» لأن أصحابها يفتنون فى طرق أدائها ويفتنون بها افتتانا!

وأن لهم تعابير عجيبة فى الاعتذار عن المقاطعة؛ فهم يتظارفون ويتملقون الذوق بقولهم: «... تقول والكلام لك» أو «ما قطع حديثك إلا كل خير» أو «وأنت الصادق» ...

وعندى أن الاعتذارات ليست سوى دلالات على الاعتزاز بالرأى ولو كان باطلا، وفيه مغزى من مغازى الغرور الدال على

النقص فى التربية الاجتماعية !

إنى ليقف فى حلق القول حتى أكاد أشرق به بعد أن أسمع مقاطعة ثقيل يريد أن يقول بطريق غير مباشر : « اسكت أنت فأنا أعلم منك بما تقول » ، أما هذه الاعتذارات المفتعلة ، فهى أقنعة تغطى بها شناعة الأكذوبات !

كان الإمام على يسأل عن الشخص ؛ فإذا لم يعلم له حرفة سقط من عينه ؛ فيجب أن يكون هذا شأننا مع متصدرى المجالس ، نستدرجهم إلى الحديث حتى تلوك ألسنتهم أشداقهم ؛ فإذا وقمت المقطات حق لنا أن نعد الأرجل على حد تعبير الأخفش النحوى !

إن كل نقيصة فى هذا المجتمع مردها إلى المجاملة ، وعدم المجاهرة بالرأى ، وإغفال ذى البله والغفلة !

يجب أن نهذب هؤلاء المضايقين ماداموا جاهلين بآداب المجتمع ؛ فليس القصد من العلم حشو الرؤوس؛ بل معرفة تقاليد البيئة ، وأساليب السلوك الصحيح التى تحدد معنى الحياة الكاملة

بور سعيد — **احمد عبد اللطيف بدر**

الى الزيات بك

ترددت طويلا قبل أن أكتب إليك على صفحات « الرسالة » فما اعتدت أنت أن تنشر ثناء على نفسك فى صفحات مجلتك ، ولا اعتدت أنا أن أوجه إليك مثل هذا الثناء ، لأن الثناء الحق هو ما احتفظ به الإنسان بينه وبين نفسه كما يقول الدكتور طه حسين باشا

وأحب بعد ذلك أن أقول لك إننى سمعت منذ ثلاثة أعوام أو نحوها أن كلية الآداب فى جامعة فؤاد الأول رشحتك لكرسى الأدب المعاصر ، بيد أنك تنحيت عن هذا المركز الأدبى الممتاز لدواع صحية . وبعد ذلك فكر بعض الزملاء الصحفيين فى ترشيحك عضواً لمجلس النقابة توطئة لانتخابك نقيباً للصحفيين . ولكن قال قائلنا إن « الأستاذ الزيات » عزوف من مثل هذه المظاهر !

أما انتخابك عضواً فى المجمع اللغوى ، فقد كان — كما علمت — مفاجأة لك ، لأنك لم تسع إلى هذا الشرف وإنما سعى هو إليك سعياً . ولو قد ترك الأمر إليك لآثرت أن تبقى بعيداً عن هذا المنصب الخطير معنياً بأمر صحتك وأمر « رسالتك » !

وكذلك « الرتبة » يا سيدى ، سعت إليك مختالة تجرر أذيالها ، ما فكرت أنت فيها ولا طلبتها ولا رجوتها ، وكذلك يسعى إليك المجد دون أن تسعى إليه ، وتتهالك عليك المظاهر دون أن تتهالك عليها !

وأحسب أن هذه الكلمة لا تدخل فى باب الثناء ، ومن هنا فإنى مصر على نشرها ، وهبنى أثنيت عليك ، فهو ثناء التلميذ على الأستاذ ، والصديق على الصديق ، وحسبك هذا التقدير السامى الذى دونه كل تقدير

منصور جاب الله

التهذيب للأزهرى والتكملة للصاغانى

كتب إلينا الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار يقول : عثرت بمكتب شيخ الإسلام عارف حكمة الله الحسينى فى صيف العام الماضى على نسخة كاملة صحيحة نظيفة جميلة الخط والشكل من معجمى « التهذيب » للإمام الأزهرى و « التكملة » للإمام الصاغانى ، وهما بحالة سليمة ، عثرت بهذين المعجمين العظيمين مصادفة بتوفيق من الله وحده بين ثمانية آلاف من المخطوطات ، بعضها من فوق بعض ، وقد استخرت الله فى نشرهما فشرح صدرى وأعاننى ، وقد درست كلا المعجمين وقرأتهما قراءة درس وتمحيص فلم أجد بها غلطة واحدة فى الخط أو الشكل ، مما يدل على العناية الكبيرة التى بذلت فى نسخهما نسخا سليما من الخطأ

وقد رأيت أن أقوم برحلة إلى شمال أفريقيا وأوروبا وأطلع على المكتبات التى تحوى ذخائرنا وكنوزنا التى أهملناها وأغفلناها ، وأفاد منها من يريد بنا السوء والشر ؛ رجاء أن أجد بها مايعيننى على نشر ماأردت نشره . »

مكة المكرمة — **أحمد عبد الغفور عطار**



أشباح

للكاتب النرويجي هنريك أبسن

بقلم الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

تعريف : هذه مسرحية قال عنها النقاد : « إنها عمل أدبي خلق قبل أوانه » فقد أثار ظهورها سنة ١٨٨١ م ، ضجة كبيرة في الأوساط الأدبية في كثير من أنحاء العالم ، وأبت المسارح تمثيلها في ذلك الوقت ، لأن الناس كانوا لا يدركون ما يرمي إليه المؤلف من آراء جريئة . وقد ظلت مسرحيتنا هذه حبيسة الملفات ، سجينة العادات ، حتى إذا كانت النهضة القومية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين جرؤ بعض أصحاب المسارح فنفض ما تراكم عليها من تراب السنين ، فمثلت ونجحت نجاحا تعدى المسرح النرويجي إلى كثير من المسارح العالمية ، فترجمت إلى كثير من اللغات منها الإنجليزية والفرنسية وغيرها ، ولم يلبث المؤلفون المسرحيون أن حذوا حذوها في مسرحياتهم بل واتخذها كثير من العلماء الباحثين موضوعاً لأبحاثهم في الوراثات التي يورثها الآباء أبناءهم ، وهذه الوراثات منها الطيب والخبيث . والفكرة الرئيسية في هذه المسرحية أن (الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون) . فالأب في هذه المسرحية خدن للشيطان ، حليف للشر ، عبد للشهوة ، أصيب بالجنون ومات إثر نوبة قلبية متأثراً بما كان يتعاطاه ، وقد ورث عنه ابنه الاستعداد للإصابة بهذا المرض رغم أنه لم يكن يعرف أن له أبا شريراً مصابا بالجنون . .)

ولقد عنى المؤلف بالفكرة أكثر مما عنى بالأشخاص ، فجاءت المسرحية قوية الموضوع ، ضعيفة من ناحية الأبطال ، الذين جعلهم كأنهم قطع شطرنج يتحركون بغير روح

المسرحية : - مستر انجستراند رجل محب للمال يعمل للحصول عليه من أقصر طريق ، ويريد الوصول إليه بغير كد ولا عناء ، ولا يهمه أن يكون الطريق شريفاً أو وضيعاً ، فهو لا يحفل بالشرف ، ولا تستهويه الألفاظ الرنانة التي يتشدق بها الآخرون عن الشرف والفضيلة ... الخ

فإذا رفع الستار نراه يتحادث مع ابنته (ريجينا) يحاورها ويراوغها ، ونسمعه يفاوضها في بيع شرفها بالمال لحسابه الخاص ، ويطلب منها أن تقدم جسدها طعمة سائغة لمن يدفع أغلى ثمن ، فإن رأى منها الإعراض والتأبي ، ذكرها بما يجب عليها من طاعته واكتساب رضاه ... ولكن الابنة ترفض طلب أبيها في إباء وشمم ، وتأبى أن تستسلم لإغرائه ، فإذا حاول أن يثنيها عن عزمها ثارت في وجهه ونهرته ثم تطرده من المنزل الذي تقيم فيه ، فهي تقيم في منزل ربيبتها مسز (الفنج) وهي امرأة واسعة الثراء اشتهرت بالغنى واليسار

إن (ريجينا) لا تملك قلبها الذي يريد منها أبوها أن تبيعه لدافع الثمن الأكبر ، فقد وهبته من زمن (لإسوالد) ابن مستر (الفنج) صاحبة البيت الذي تربت فيه ، فقد التقت به كثيراً كلما عاد إلى بيت والدته من غربته ، فأحبته (ريجينا) ووهبته قلبها .

و (إسوالد) هذا وحيد أمه ، ولكنها قد أبعدته منذ صغره عن البيت الذي تعيش فيه مع أبيه ، فأثار هذا زوبعة من اللغط والحديث بين أهل القرية ، وخاض أهلها في كثير من التفسيرات المختلفة عن عدم حبها لابنها الوحيد ، وقسوة قلبها وجمود عاطفتها

وأنه لولا ذلك لما أرسلت ابنها الوحيد إلى إيطاليا ليعيش هناك بعيداً عنها وعن أبيه

والحق أن كل هذه التفسيرات لم يكن شيء منها صحيحا ، فلم تكن مسز (الفنج) قاسية القلب غريبة الأطوار ، بل إنها كانت على عكس ذلك رقيقة القلب جياشة العواطف ، حسنة التصرف ، ولم يكن إبعادها لابنها ليتعلم فن الرسم كما كانت تقول هي لمن يسألها ، ولا كرها له ولا قسوة عليه كما يقول الناس ، وإنما الذي أوحى إليها هذا العمل ، هو حبها لابنها وعطفها عليه ، فقد أشفقت عليه أن يعيش مع أب شريد عربيد كالمستر (الفنج) الذي لا يفيق من سكره ؛ وإن أفاق فإنما ليبحث عن امرأة ساقطة يقضي الليل بين أحضانها ، لقد أشفقت على ابنها ولم تشأ أن ينكب

فى أبيه كما نكبت هى ، فعملت على إبعاده عن الجو الشبع برائحة الخمر والدعارة

فكم قاست من شرور زوجها وآثامه وهى صابرة محتملة ، فلم ترد أن يتحمل ابنها شيئا مما لاقته فعملت على إبعاده ، ونجحت فى إنقاذه من شرور أبيه وتربيته بعيداً عنه؛ ولكنها لم تستطع أن تنقذه من الرذائل والعادات السيئة التى ورثها عن أبيه ، فقد انتقلت الشرور والآثام من الأب إلى الابن فى الدم كأنها أشباح سوداء فى ليلة مظلمة . وكان من أثر هذه الوراثة أن نشأ (إسوالد) معتل الجسم فى عقله استعداد للاعتلال عند الصدمة الأولى . ولقد نصحه طبيبه الإيطالى بأن يريح عقله وجسمه فلا يرهقها بمجهود عنيف، وأنذره إن لم يتبع نصحه فسيلقى حتفه عن هذا الطريق

فلما مات الأب الشريد ، أرسلت مسز (الفنج) إلى إيطاليا تستدعى ابنها ليعيش فى كنفها ، فلما حضر منحته عطفها وحنانها اللذين حرمته منهما قسوة الأيام وفساد أخلاق الأب

والتقى (إسوالد) و (ريجينا) نخفق قلباهما اللذان أصابهما كيوبيد بسهمه ، وقد مهد لهذا الحب تلاقيهما فى المرات السابقة التى كان يحضر فيها الشاب لزيارة أمه ، على رغم قصرها، فلما عاد هذه المرة التى سيبقى فيها طويلا، أطلقا لنفسيهما العنان، وأصبح كل منهما لا يستطيع فراق الآخر، وكانت الشواهد تدل على أنهما فى طريقهما الطبيعى نحو الاكتمال والسعادة المحققة التى ينشدها كل حبيبين

فلما رأى مستر (انجستراند) والد (ريجينا) هذه البوادر عز عليه أن يفقد ابنته التى يريد أن يستخدمها فى مآربه الدنيئة فعاد يحوم حولها ، ينذرها حيناً ويرغبها حينا آخر . فلما أبت أن تكون فريسة شهية لرواد منزله ، لجأ إلى القس (ماندرز) يشكو له ابنته العاقة التى تأبى أن تعيش معه ، وتؤثر أن تعيش مع سيدة قاسية غليظة القلب كالمسز (الفنج) التى سبقت أن أبعدت ابنها ليعيش بعيداً عنها محروما من عطف أبيه وحنانه إنه لا يأمن على ابنته فى هذا المنزل وخصوصا بعد عودة (إسوالد) الشاب . وصدق القس كلامه وخدع بمعسول قوله لأنه كان ينظر إلى مسز (الفنج) نظرته إلى امرأة فظة قاسية ، ولأنه لم يكن يعلم لماذا أبعدت ابنها عن أبيه ، فذهب إليها يأمرها أن ترد البنت إلى كنف أبيها الحنون

وهنا تضطر مسز (الفنج) أن تعترف للقس بالسبب الذى من أجله أبعدت ابنها وما كان من أمر الأب الشرير الساقط ، وتفهمه أن زوجها قد خانها مع خادمة لها . فتقول له :

ـ إن (ريجينا) ليست ابنة مستر (انجستراند) فيسألها القس متعجبا وكيف ذلك ؟ فتقول له :

ـ لقد فاجأت زوجى والخادم بين أحضانه وهما فى وضع مشين والخادم تقول له : أوه ... أوه ... مستر الفنج ... اتركنى .. أرجوك أن تتركنى) فاضطررت إلى طرد الخادم الفاسدة الخلق بعد أن منحتها مالا تعيش منه

وقد تزوج مستر (انجستراند) من تلك الخادم الساقطة من أجل مالها التى أعطيته لها ، وبعد أشهر خمسة من زواجهما أنجبت له (ريجينا)

فدمدم القس قائلا : (إنها خادم فاسدة حقا)

ولكن مسز (ألفنج) لا تلقى بالتبعة كلها على كاهل المرأة الساقطة دون أن تحمل شريكها الذى بذر معها بذور الخطيئة ثم تخلى عنها وقت العقاب ، بعض الذنب ، فتجيب القس قائلة :

(يخيل إلى ياسيدى أحيانا أننا نعيش فى عالم كله رياء، وأننا جميعا ساقطون وأن أخطاء الأموات حية فى دمائنا، قد أورثوها إيانا ، وإنى أصارحك أنى أرى هذا العالم يحوى من الخطايا والشرور أكثر مما يحوى من حصى الأرض ورمل الصحراء ، وإننا جميعا نهرب من الضوء ونخشى الظهور فى النور لنعيش فى الظلام الذى يحجب خطايانا عن عيون الغير)

فقال لها القس وقد ظهر الغضب على وجهه حتى ارتعشت لحيته : (كيف تقولين إننا جميعا ساقطون وإننا نهرب من الضوء ؟)

فقالت له : (ألم تزوجنى زواجا فاسدا باطلا ؟) فقال لها

(كيف ذلك ، إن زواجك قد تم وفق القانون والواجب ، وهما عمودان شامخان يباركان حياة الزوجية الماضية) فقالت له

(إذا كان القانون والواجب ، يرغمان الإنسان على أن يوقف حياته الصالحة على احتمال آثام رجل شرير فاسد لا يرجى منه خير ولا يؤمل فيه صلاح .. فإنهما عمودان شامخان يرمزان إلى مفاسد العالم وآثامه)

ولم تكد مسز الفنج تتم حديثها حتى يدخل مستر (انجستراند) ليسأل القس عما تم ويستشهد به فى طلب ابنته ، ولكن القس

يثور عليه فى وجهه إذ كيف يتزوج امرأة ساقطة نظير مالها

فيجيبه مستر (انجستراند) بهدوء تام قائلا : « أليست الشرائع السماوية تأمرنا ، أن نمد العون لمن تزل قدمه ؟ (فيؤمن القس على قوله) فيواصل (انجستراند) قائلا فأنا قد سمعت أمر السماء وانتشلت والدة (ريجينا) من الوحل الذى ألقاها فيه مستر (الفنج)

كان ذلك عندما اقتحمت يوما أحد المراقص الأرستقراطية هناك فى المدينة حيث تراق الخمر كالماء ، وتبعثر الأموال ذات اليمين وذات الشمال بغير حساب ، والفقراء هنا فى القرية يقتلهم الجوع ويفرى أجسامهم البرد ، وهناك النساء مرتميات كأنهن الوسائد . وقد اقتحمت ذلك المرقص محاولا زجر أولئك القوم عن آثامهم التى يرتكبونها ، ولكنهم لم يسمعوا الى بل ألقوا بى إلى الخارج فكسرت إحدى ساق ، وفى محنتى تقدمت إلى والدة (ريجينا) وساعدتنى على الوصول إلى دارى ، ثم اعترفت لى أن رجلا سلبها عفافها ، فقلت لها لقد ارتكبت جرما وأصبحت امرأة ساقطة تحملين الإثم والفجور ، ولكن ها أنا ذا أقف بجانبك لأنقذك مما أنت فيه حتى لا تضيفى إلى أبيك آثاما أخرى وقد أنقذت المسكينة حتى لا تكون خطيئتها مضغة الأفواه .

وخدع القس بهذا الكلام الزائف ، فلبث برهة صامتا لا يتكلم . وهو ينظر إلى مسز (الفنج) كأنه يؤنبها على ما قالت فى حق (انجستراند) وفى أثناء ذلك خرج (انجستراند) من الدار ليعود إلى المنزل الذى يديره

وهم القس بالكلام مع مسز (الفنج) ولكنهما سمعا صوت (ريجينا) من الداخل تصيح :

أوه ... أوه ... مستر إسوالد ... اتركنى ، أرجوك أن تتركنى ...)

ويعقب هذا أصوات اصطدام أشياء ، فيلتفت القس إلى مسز (الفنج) ويسألها عن مصدر هذا ، فتجيبه وقد أدركت كل شئ (إنها أشباح مثقلة بالآثام والشرور ورثها الابن من أبيه)..

* * *

ثم يخرج القس وتستدعى مسز (الفنج) إليها إسوالد وتسأله عما حدث بينه وبين (ريجينا) فيقسم لها أنه لم يحاول الإساءة إليها ولكنه يحبها ، ويثق أنها تحبه حبا صادقا ، فيقول لها : إن حبها هو الذى صانى عن كل عبث وحال بينى وبين ما كنت أهم بارتكابه فى غربتى . ولقد هممت كثيرا أن أفعل ما يفعله الشباب ، ولكن كان مجرد تفكيرى فى أن هذه الفتاة البريئة الطاهرة الذيل تنتظر أوبتى وأنها تمد لى ذراعيها لأتلقاها ، كان هذا وحده يبعدنى عن مزالق الشر ويدفعنى إلى الثقة بنفسى فأبتعد عن كل ما يشين

وهنا يظهر الارتباك على مسز الفنج وتستغرق فى سهوم طويل ، لا يخرجها منه إلا صوت ابنها (إسوالد) يسألها أن تبارك حبها ، فتلتفت إليه وهى لا تزال شاردة ، وتقول له فى صوت شارد حزين :

إنها أختك يابنى . فيرد عليها فى صوت مزعج

هذا محال ، كيف ذلك بربك ؟ اصدقينى أمى أختى حقا ؟

هذا محال ...

فتهدئ والدته من روعه ، ثم تخبره بقصة (جوانا) الخادمة التى اعتدى أبوه عليها فأنجبت (ريجينا) ولكن بعد زواجها من انجستراند بعدة قصيرة جدا ... وهنا تنزل بالشاب المسكين الصدمة التى حذره الطبيب إياها

وعندما تعرف (ريجينا) أن (إسوالد) أخوها وأن زواجها منه مستحيل تضيق بها الحياة وتصمم على الرحيل ..

فتسألها مسز (الفنج) (إلى أين ياريجينا) فتقول لها إلى حيث أراد أبى أن أهب جسمى لدافع الثمن الأكبر . فتقول لها

ولكنك يا ريجينا تلقين بنفسك فى الهاوية

ليكن هذا مادام مستر إسوالد سر أبيه ، فلأكن أنا الأخرى سر أمى . ثم تخرج هائمة على وجهها

وتظهر دلائل الاختلال على إسوالد ، فيستولى الرعب على الأم وتلقى بنفسها تحت قدميه وتصيح :

إسوالد ابنى ارحم أمك التى منحتك الحياة والحب والحنان

ولكنها لا تسمع إلا صوت سقوط إسوالد على الأرض ميتا ، فقد انفجر شريان فى فمه نخر صريعا

أسيوط **عبد الموجود عبد الحافظ**

مطبعة الرسالة